وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ-الدراسات العليا

الأوقاف
في العصرين الايلخاني والجلائري
(٦٥٦-٨٣٥هـ)- دراسة تاريخية

أطروحة مقدمة
إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة ديالى وهي جزء
من متطلبات نيل شهادة دكتوراه / فلسفة في التاريخ الإسلامي

من قبل الطالب
سرمد قاسم محمد خميس

بإشراف
الأستاذ الدكتورة
سميعة عزيز محمد

١٤٤١هـ ٢٠٢٠م

الفصل الأول
الوقف
المبحث الأول
الوقف، أركانه، أنواعه، جذوره التاريخية

الوقف في اللغةً :

مصدر وقف، يقال: وَقَفْتُ الدابّةَ أقِفه وَقْفاً، وَكَذَلِكَ كل شَيْء حبستَه، ووقفتُ الأرضَ والرجلَ أقِفه وَقْفاً، وَهَذَا أحد مَا جَاءَ على فعلتُه ففَعَل، وَهِي أحرف[1]. وسمي وقفاً؛ لأن العين موقوفة[2] .

أما الدلالة الحديثة لمصطلح الوقف، فيقول الأستاذ أحمد مختار عمر(ت: 1424هـ): " وَقْف مفرد، جمعها أوقاف: حبس أرض أو ممتلكات عقاريّة على ملك الواقف أو على ملك الله تعالى والتصدق بالمنفعة "[3] .

وأما الوقف بمعنى المنع فلأن الواقف يمنع التصرف بالموقوف فإن مقتضى المنع أن تحول بين الرجل وبين الشيء الذي يريده، وهو خلاف الإعطاء، ويقال هو تحجير الشيء، من منعه فامتنع منه وتمنع[4] .

ألفاظ الوقف ستة : " وَقَفْتُ، وَحَبَّسْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَسَبَّلْتُ، وَأَبَّدْتُ، وَحَرَّمْتُ " .

وَقَفْتُ: مَنَعْتُ بَيْعَهُ وَهِبَتَهُ، مِنَ الرَّجُلِ الْواقِفِ الَّذي امْتَنَعَ مِنَ الذَّهابِ وَالْمَجيءِ، وَبَقَىَ مُتَحَيِّرًا قائِمًا .

حَبَّسْت: مَأْخوذٌ مِنَ الْحَبْسِ: ضِدِّ الإِطْلاقِ.

تَصَدَّقْتُ: أَصْلُهُ: مِنَ الصِّدْقِ الَّذى هُوَ ضِدُّ الْكَذِبِ، كَأَنَّهُ يُخرِجُها مُصَدِّقًا بِما وُعِدَ مِنَ الثَّوابِ .

سَبَّلْتُ: جَعَلْتُ لَهُ سَبيلًا، أَي : طَريقًا إِلَى مَنْ يَمْلِكُ مَنْفَعَتَهُ .

أَبَّدْت: جَعَلْتُها مُؤَبَّدَة، مِنَ الْأَبَدِ، وَهُوَ: الدَّهْرُ .

حَرَّمْتُ: حَرَّمْتُ بَيْعَها وَهِبَتَها وَإِرْثَها[5] .

الوقف اصطلاحًا :

عُرِّف الوقف بتعاريف عدة وفقًا لاختلاف المذاهب الفقهية، وأبلغ تلك التعاريف وأقربها ما عرفه به عبد الرحمن ابن قدامة المقدسي بأنه: " تحبيس الأصل وتسبيل

---

(1) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت:321هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1987م، ج2، ص967 - 968 .

(2) البعلي، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل (ت:709هـ)، المطلع على ألفاظ المقنع، تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي، ط1، جدة، 1423هـ/2003م، ص344 .

(3) معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1429هـ - 2008م، ج3، ص2485 .

(4) ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ) ، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، 1414هـ، ج8، ص343 .

(5) ابن بطال، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان الركبي (ت: 633هـ)، النظم المستعذب في تفسير غريب الفاظ المهذب، تحقيق: مصطفى عبد الحفيظ سالم، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، 1991م، ج2، ص88 – 89 .

المنفعة"[1]، كونه مقتبساً من قول أفصح البشر لساناً، وأبلغهم بياناً نبينا محمد ﷺ، حينما سأله عمر بن الخطاب ﷺ عن أرض أصابها بخيبر، فقال له: " إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها "[2] .

أركان الوقف :

للوقف أركان لا يتم إلا بها، إلا أن العلماء اختلفوا فيها، وذهب الجمهور أن للوقف أربعة أركان هي : (الواقف، والموقوف، والموقوف عليه، والصيغة)[3] .

الأول: الواقف، وهو المكلف الرشيد الحر الذي صدر منه الإيجاب بإنشاء عقد الوقف.

الثاني: الموقوف، وهو كل عين مملوكة يصح بيعها .

الثالث: الموقوف عليه، وهو الذي يخصص الوقف أو ريعه عليه، سواء كان معينا كشخص أو جماعة، أو غير معين كجهة من الجهات .

الرابع: الصيغة، وهو القول الذي دل على إنشاء عقد الوقف، وكذا الفعل الدال عليه، كما لو بنى مسجدا وخلى بينه وبين الناس، أو مقبرة وأذن في الدفن فيها[4] .

أنواع الوقف :

ينقسم الوقف باعتبار الجهة التي وقف عليها إلى أربعة أنواع هي :

1- الوقـف الدينـي: كلما وقف من الاراضي والاموال على المنشآت المقدسة كبيت الله الحرام، والحرم النبوي الشريف، وبيت المقدس، والاضرحة والمقامات المقدسة لدى الأهلين .

2- الوقـف الخـيري: ما جعل ريعه لجهة بر عامة. كأن يوقف الإنسان مدرسة لطلاب العلم، أو داراً للضعفاء والفقراء والأيتام والأرامل ونحو ذلك .

3- الوقف الذري (الأهلي): ما جعل ريعه على ذرية الواقف من بعده، وهو وقف على المصالح الدنيوية. كأن يبني داراً ويجعلها وقفاً على ورثته، أو يوقف مزرعة ويجعل غَلَّتها لهم[5] .

---

(1) عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المقدسي (ت: 682هـ)، الشرح الكبير على متن المقنع، دار الكتاب العربي، بيروت، بلات ، ج6 ، ص185.

(2) البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي (ت: 256هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط1، بيروت، 1422هـ، رقم: [2772]، ج4، ص12 ؛ مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (ت: 261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، بلات، رقم: [1632]، ج3، ص1255 .

(3) القزويني، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي (ت: 623هـ)، العزيز في شرح الوجيز، تحقيق: علي محمد عوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م، ج6، ص250 ؛ الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب الشافعي (ت:977هـ)، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت ، بلات ، ج2، ص360 .

(4) البدر، بدر بن ناصر، مجلة البحوث الإسلامية - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، بلات ، ج77، ص126 .

(5) قلعجي، محمد رواس، وقنيبي، حامد صادق، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، عمان، ط2، 1408هـ/ 1988م، ص508 .

4- الوقف المشترك: يكون وقفا ذريًا ثم بانقطاع الموقوف عليهم يتحول إلى وقف خيري .

الوقف في القرآن والسنة :

لم يرد للوقف ذكر صريح في القرآن الكريم إلا أننا نستطيع أن نستدل على مشروعيته من خلال آيات بينات من القران الكريم كما في قوله تعالى: **" إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ "**[1] . وفي قوله تعالى: **" لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ "**[2] لما سمعها أبو طلحة ﷺ[3] قام إلى رسول الله ﷺ، فقال: وإن أحب أموالي إلي بيرحاء[4]، وإنها صدقة لله أرجو برها، وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت، فقال: " بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، قد سمعت ما قلت فيها، وأرى أن تجعلها في الاقربين"، قال: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه[5].

أما في الحديث النبوي الشريف فقد عد الوقف الخيري والأهلي من الصدقة الجارية التي يستمر أجر صاحبها حيًا وميتًا بل من أوليات ما حثّ النبي ﷺ في الحديث الصحيح عن أبي هريرة ﷺ : " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له "[6].

وروي عن ابن عمر ﷺ أنه قال: " جاء عمر إلى رسول اللَّه ﷺ، فقال: يا رسول اللَّه، إني أصبت مالًا لم أصب مثله قط ، كان لي مائة رأس، فاشتريت بها مائة سهم من خيبر من أهلها، وإني قد أردت أن أتقرب بها إلى اللَّه عز وجل، قال: فاحبس أصلها، وسبل

---

(1) سورة يس الآية : 12 .

(2) سورة آل عمران الآية : 92.

(3) زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الانصاري ﷺ أحد النقباء ليلة العقبة، شهد بدرًا وما بعدها، مات بالمدينة، وقيل: بالشام، وقيل: بالبحر غازيًا سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: أربع وثلاثين وهو ابن سبعين سنة. ينظر؛ ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البغدادي (ت: 230هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1410 هـ/ 1990م، ج3، ص382 ؛ ابن خياط، خليفة بن خياط العصفري (ت: 240هـ)، طبقات خليفة، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة، بيروت، 1414هـ/ 1993م، ص156 .

(4) حديقة لأبي طلحة ابن سهل كانت بقرب المسجد بالمدينة، يدخلها رسول الله ﷺ ويستظل فيها، ويشرب من مائها، وهي في موضع قصر بني جديلة. ينظر؛ ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الحموي (ت:626هـ)، معجم البلدان، دار صادر،ط2، بيروت، 1995م، ج1، ص525 ؛ السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني (ت:911هـ)، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1419هـ، ج3، ص132 .

(5) الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل السمرقندي (ت: 255هـ)، مسند الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المغني، ط1، المملكة العربية السعودية، 1412هـ/ 2000م، رقم: [1695]، ج2، ص1029 ؛ البخاري، صحيح البخاري، رقم: [2769]، ج4، ص11 .

(6) الدارمي، السنن، رقم: [578]، ج1، ص462 ؛ مسلم، الصحيح، رقم: [1631]، ج3، ص1255 ؛ الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة (ت: 279هـ)، السنن، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، رقم: [1376]، ج3، ص53 .

الثمرة "[1]. أي اجعلها وقفًا، وأبح ثمرتها لمن وقفتها عليه، فتصدق بها في سبيل الله وفي الرقاب والضيف والمساكين وذي القربى. ولا جناح على من وليه أن يأكل منه بالمعروف بقدر حاجته من غير سرف أو يأكل صديقا له غير متمول فيه، وله أن ينفق على نفسه إذا احتاج إليه[2]

إجماع أهل بيت الرسول ﷺ، وكبار الصحابة، والعلماء :

أجمع الصحابة على مشروعية الوقف، وذلك أن أبا بكر ﷺ وعمر ﷺ وعثمان ﷺ وعليًا عليه السلام، وسعد بن أبي وقاص ﷺ والزبير ﷺ، وزيد بن ثابت ﷺ، وعبد الله بن عمر ﷺ، وحكيم بن حزام ﷺ، وفاطمة عليها السلام، وعائشة أم المؤمنين ﷺ، وعمرو بن العاص ﷺ، وعبد الله بن الزبير ﷺ، وأنس بن مالك ﷺ، وجابرًا ﷺ كلهم وقفوا الأوقاف، وأوقافهم بمكة والمدينة مشهورة معروفة. يقول أبو يحيى[3] الساجي: وروي ان الحسن والحسين عليهما السلام، وقف أحدهما أشقاصًا[4] من دوره، فأجاز ذلك العلماء، وتصدق ابن عمر ﷺ بالسهم الذي بالغابة[5] والذي وهبت له حفصة ﷺ؛ واحتبس خالد بن الوليد ﷺ أدراعه، وأعتاده في سبيل الله[6] .

---

(1) البخاري، الصحيح، رقم: [2737]، ج3، ص193 ؛ مسلم، الصحيح، رقم: [1632]، ج3، ص1255 ؛ ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (ت: 273هـ)، السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، 1952م، رقم: [2396]، ج2، ص801 ؛ ابو داود، سليمان بن الأشعث (ت: 275هـ)، سنن ابو داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، بلات، رقم: [2878]، ج3، ص116 ؛ الترمذي، الجامع الكبير، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بلاط، بيروت، 1998م، رقم: [1375]، ج3، ص52 ؛ النسائي، أحمد بن شعيب بن علي (ت: 303هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1421 هـ/ 2001م، رقم: [6393]، و[6398] ج6، ص139، ص141 ؛ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي الخُسْرَوْجِردي (ت: 458هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2003م، رقم: [11905]، ج6، ص268 .

(2) النسفي، عمر بن محمد بن أحمد (ت: 537هـ)، طلبة الطلبة، مكتبة المثنى، بغداد، 1311هـ، ص105 – 106.

(3) ابو يحيى زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن بن بحر بن عدي الضبي الساجي البصري محدث البصرة وأحد الحفاظ المحدثين المهرة. كان ثقة يعرف الحديث والفقه وله مؤلفات حسان في الرجال واختلاف العلماء واحكام القرآن. توفي سنة سبع وثلاث مائة. ينظر؛ ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت: 327هـ)، الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت ،1271هـ/ 1952م، ج3 ، ص601 ؛ ياقوت ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: احسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1414هـ/ 1993م، ج3، ص1326؛ بامخرمة، الطيب بن عبد الله بن أحمد الحضرمي (ت: 947هـ)، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تحقيق: بو جمعة مكري وخالد زواري، دار المنهاج، ط1، جدة، 1428هـ/ 2008م، ج3، ص24 .

(4) الشقص: القطعة من الأرض، الطائفة من الشيء، النصيب المعلوم من كل شيء غير مفروز وقد يفرز القليل من الكثير، جمعها أشقاص وشِقاص. ينظر؛ الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق : مجموعة من المحققين، دار الهداية، الكويت، بلات ، ج18، ص15 ؛ رضا، أحمد، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1378هـ/ 1959م، ج3، ص350 .

(5) الغابة: موضع قرب المدينة من ناحية الشام فيه أموال لأهل المدينة، وهو المذكور في حديث السباق: من الغابة إلى موضع كذا ومن أثل الغابة، وفي تركة الزبير اشتراها بمائة وسبعين ألفا وبيعت في تركته بألف ألف وستمائة ألف. ينظر؛ ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص182 ؛ الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: 900هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، بيروت، 1980م، ص425 .

(6) البيهقي، السنن الكبرى، رقم: [11905]، ج6، ص268 .

ولذلك سعى المسلمون على مر العصور والأزمان إلى إقامة المشاريع الخدمية؛ سعيًا وراء الحصول على المثوبة والأجر من الله عز وجل؛ فقد تم إنشاء العديد من الأوقاف التي تحقق الفائدة للأمة، فتم إنشاء المدارس والبيمارستانات[1] أو المارستانات والمكتبات والخانات، وتم حفر الآبار وشق الطرق وإنشاء القناطر والسدود إلى غير ذلك من الخدمات التي تصب جميعها في تيسير الخدمات للمسلمين .

الأوقاف في صدر الإسلام :

وضع نظام الوقف بمعناه الدقيق المحدد في العصر الإسلامي منذ عهد الرسول ﷺ، وأول وقف ديني في الإسلام هو وقف مسجد قباء، وثاني تلك الأوقاف الدينية وقف المسجد النبوي الشريف، وكانت أرضه ملكا لغلامين يتيمين من بني النجار، فاشتراها النبي ﷺ وأقام عليها مسجده، وشارك بنائه وبناء حجراته أصحابه الكرام[2]، ثم وقف مخيريق اليهودي[3]، في السنة الثالثة للهجرة، وكان عبارة عن سبعة حوائط[4]، هي: [الصافية، والأَعْوَافُ، والدلال، والميثب، وبرقة، وحسنى، ومشربة أم إبراهيم][5]، وكان قد خرج يوم أحد نصرة لرسول الله ﷺ بعد أن قال لقومه : "ألا تنصرون محمدًا، والله إنكم لتعلمون أن نصرته حق عليكم، فقالوا: اليوم يوم سبت. فقال: لا سبت[6] . وحمل سيفه ومضى إلى رسول الله ﷺ، فقاتل حتى أثخنت جراحه، فلما حضرته المنية، قال : أموالي لمحمد يضعها إذ شاء[7]، فقبض رسول الله ﷺ أمواله وجعلها صدقة في سبيل الله؛ وما زالت كذلك حتى حُمل من ثمرها إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أيام خلافته[8]،

---

(1) البيمارستان: كلمة فارسية دخيلة ويقصد بها المكان المعد والمخصص لمعالجة المرضى، وشاع في بلاد الشام باسم - المستشفى – وهي عربية، وبمصر - بالاسبيتال – وهي دخيلة . ينظر؛ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت:597هـ) ، تقويم اللسان، تحقيق: عبد العزيز مطر، دار المعارف، ط2، القاهرة، 2006م، ج1، ص168 ؛ رضا، معجم متن اللغة ، ج1، ص377 .

(2) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد الآملي (ت: 310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، ط2، بيروت، 1387هـ، ج2، ص396 ؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1412هـ/ 1992م ، ج3، ص67 .

(3) مخيريق النضري الإسرائيلي كان عالما حبرًا خرج مع رسول الله ﷺ في أحد ناصرًا، وكان قد أوصى انه اذا قتل فأمواله للنبي ﷺ، فقتل بها، فقال رسول الله ﷺ: مخيريق سابق يهودا، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة. ينظر؛ ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت: 852هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية، ط ، بيروت، 1415هـ، ج6، ص46 .

(4) هو البستان من النخل إذا كان عليه حائط، وجمعه حوائط. وفي الحديث: (على أهل الحوائط حفظها بالنهار) - يعني البساتين- وهو عام فيها. ينظر؛ ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص280 .

(5) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت: 279هـ)، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988م ، ص27.

(6) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج6، ص47 .

(7) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص389 .

(8) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص389 ؛ ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (ت: 571هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، ط1، بيروت، 1415هـ/ 1995م، ج10، ص 229 .

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: كان لرسول الله ﷺ ثلاث صَّفايا[1]: فكانت بنو النظير حبسًا لنوائبه، وكانت فدك لابن السبيل، وكانت خيبر ثلاثة أجزاء، فجزءان للمسلمين، وجزء كان ينفق منه على أهله، فإن فضل فضل رده على فقراء المهاجرين[2]، ثم حبس المسلمون بعده ﷺ على أولادهم وأولاد أولادهم، قال الشافعي ﷺ: " وأكثر دور مكة وقف "[3] . وأستمر بعد ذلك الناس يقفون أموالهم تقربًا إلى الله تعالى .

ثم توالت أوقاف الصحابة الكرام لا يبتغون من ذلك إلا مرضاة الله تعالى، والتقرب إليه بالصدقات الجاريات؛ يقول الشافعي ﷺ: " ولقد بلغني أن أكثر من ثمانين رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار تصدقوا صدقات محرمات موقوفات "[4]، وهذه دلالة واضحة على سعة الأوقاف في مدينته ﷺ في صدر الاسلام .

وبعد أن أخرج أبو بكر الصديق ﷺ كل ممتلكاته في سبيل الله وكان قد وضعها في يد الرسول ﷺ لينفقها في سبيل الدعوة الإسلامية وهاجر معه إلى المدينة لم يترك لعياله كما قال إلا الله ورسوله. ولم يبق له إلا رباعًا[5] بمكة حبسها فلا يعلم أنها ورثت عنه؛ ولكن يسكنها من حضر من ولده وولد ولده ونسله بمكة، ولم يتوارثوها[6] .

ووقف عمر بن الخطاب ﷺ داره عند المروة[7]، وبالثنية على ولده[8]، وكانت حفصة بنت عمر ﷺ أول مشرفة على أوقافه بنص وصيته: " هذا ما وصى به عبد الله عمر ﷺ لحفصة أم المؤمنين إن حدث به حدث الموت أن ثمغاً[9] وصرمة بن

---

(1) الصَّفايا: هو ما يصطفيه الرئيس لنفسه، مثل السيف والفرس والجارية، قبل القسمة مع الربع الذي له. ينظر؛ الصاعدي، عبد الرزاق بن فراج، موت الألفاظ في العربية، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد: 107، 1418هـ، ص373 .

(2) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي (ت: 207هـ)، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، ط3، بيروت، 1409هـ/ 1989م، ج1، ص377– 378 ؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص390 .

(3) الدَّمِيري، محمد بن موسى بن عيسى (ت: 808هـ)، النجم الوهاج في شرح المنهاج، تحقيق: لجنة علمية، دار المنهاج، ط1، جدة، 1425هـ/ 2004م، ج5، ص454 .

(4) البيهقي، معرفة السنن والآثار، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية في كراتشي ودور نشر أخرى، ط1، باكستان، 1412هـ/ 1991م، رقم: [12278]، ج9، ص39 ؛ ابن الملقن، عمر بن علي بن أحمد (ت: 804هـ)، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وآخرون ، دار الهجرة ، ط1، الرياض، 1425هـ/ 2004م، ج7، ص107 .

(5) الرَّبْعُ: المنزل و دار الاقامة، والرَّبْعُ: المحلة. يقال: ما أوسع رَبْعَ بني فلان. والرَّبَاعُ: الرجل الكثير الرباع، وهي المنازل. ينظر؛ الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت: 666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، ط5، بيروت، 1420هـ/ 1999م، ص116 ؛ ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص102 .

(6) البيهقي، السنن الكبرى، رقم الحديث [11900]، ج6، ص266 ؛ الزيلعي، عبد الله بن يوسف بن محمد (ت: 762هـ)، نصب الراية لأحاديث الهداية، تحقيق: محمد عوامة، الريان للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1418هـ/ 1997م، ج3، ص498 ؛ ابن همام، محمد بن عبد الواحد السيواسي (ت: 861هـ)، فتح القدير، دار الفكر، بيروت، بلات، ج6، ص215 ؛ الخصاف، ابو بكر احمد بن عمرو الشيباني، أحكام الأوقاف، مطبعة بولاق، القاهرة، بلات، ص5 .

(7) الرافعي، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القزويني (ت: 623هـ)، شرح مسند الشافعي، تحقيق: أبو بكر وائل محمد بكر زهران، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، قطر، 1428هـ/ 2007م، ج4، ص63 .

(8) البيهقي، السنن الكبرى، رقم: [11900]، ج6، ص266 .

(9) ثمغ: مال معروف لعمر بن الخطاب ﷺ وهي على نحو ميل من المدينة جعلهما وقفًا. ينظر؛ ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري (ت: 606 هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ/ 1979م ، ج1، ص222 .

الأكوع[1]، والعبد الذي فيه، والمائة سهم التي بخيبر، ورقيقه الذي فيه، والمائة التي أطعمه محمد ﷺ بالوادي تليه حفصة ما عاشت ثم توليه ذا الرأي من أهلها ألا يباع ولا يشترى ينفقه حيث يرى من السائل، والمحروم، وابن السبيل، وفي سبيل الله، وفي الرقاب، والمساكين، ولا حرج عليه إن أكل أو آكل واشترى رقيقاً منه "[2] .

ولما قدم رسول الله ﷺ لدار هجرته بالمدينة المنورة، ولم يكن بها ماء يستعذب غير بئر رومة قال: من يشتري بئر رومة، فيجعل فيها دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة، فاشتراها عثمان بن عفان ﷺ من صلب ماله، وجعل دلوه فيها كدلاء المسلمين ينقل ذلك الخلف عن السلف جيلًا بعد جيل، وهي مشهورة بالمدينة[3] .

ووقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بستانه التي في ينبع وكانت إقطاع أقطعه إياه الخليفة عمر ابن الخطاب ﷺ، ثم اشترى عليها أشياء وحفر فيها عينًا، فبينما هم يعملون فيها تفجرت عليهم مثل عنق الجزور، فأُتى علي عليه السلام، وبشر بذلك، فقال: بشر الوارث؛ ثم تصدق بها على الفقراء والمساكين وفي سبيل الله وابن السبيل، القريب والبعيد، وفي السلم وفي الحرب، ليوم تبيض وجوه وتسود وجوه، ليصرف الله تعالى بها وجهي عن النار ويصرف النار عن وجهي[4] .

ووقفت الزهراء فاطمة عليها السلام ثمانون أوقية[5] ذهبًا ينفق عنها من أثمر مالها في رجب من كل عام، وإنها قد أنفقت أثمر مالها العام وأثمر القمح عاما قابلًا أوان علتها، وأمرت بان ينفق من مالها خمس وأربعين أوقية لنبينا محمد ﷺ، ولفقراء بني هاشم وبني المطلب بخمسين أوقية ، أما مالها في المدينة المنورة فقد جمعته إلى مال أبيها محمد ﷺ لا يفرق بينه وبينه، فيتلقى ثمره ويتصدق ما دام حيًا، فإذا حدث به حدث الموت دفعه إلى الحسن والحسين عليهما السلام، ووقفت لابنة جندب بنت ضمرة الجُنْدُعية[6]، البيوت الأصاغر وطعمهما في المال ما دامت حية، ولعلي عليه السلام الأَدَمَانِ[7]

---

(1) صرمة بن الأكوع: مال كان لعمر بن الخطاب ﷺ في المدينة جعلها وقفًا، والصرمة هي القطعة الخفيفة من النخل، وقيل من الإبل. ينظر؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والاثر، ج3، ص26 .

(2) ابو داود ، السنن ، رقم : [2879]، ج3، ص117 ؛ البيهقي، السنن الكبرى، رقم : [11893]، ج6، ص264 .

(3) مسلم، الصحيح ، رقم: [3703]، ج6، ص68 ؛ النسائي، السنن، رقم: [6402]، ج6، ص144 .

(4) البيهقي، السنن الكبرى، [11897]، ص266 – 267 .

(5) أوقيّة: وزن منتشر بكثرة في العالم العربي والإسلامي، وذكر في الحديث النبوي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه قال: سألت أم المؤمنين عائشة كم كان صداق رسول الله ﷺ ، قالت: (كان صداقه لأزواجه اثنتي عشرة أوقية، ونشا)، ثم قالت: أتدري ما النش. قال: قلت لا، فقالت: (نصف أوقية)، فتلك خمس مائة درهم، وهذا صداق رسول الله ﷺ لأزواجه. وهذا يعني إن الأوقية تعادل أربعون درهم. ينظر؛ مسلم، الصحيح، رقم: [1426]، ج2، ص1042 .

(6) الجُنْدُعية: هي من أمهات المؤمنين ذكر ان رسول الله قد تزوجها ولم يدخل بها، وأنكر بعضهم وجود ذلك. وعلى ما يبدوان ورود اسمها في وصية الزهراء عليها السلام هو تأكيد زواجه صلى الله عليه وسلم منها. ينظر؛ ابن الجوزي، تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، بيروت، 1997م، ص27 ؛ العاقولي، محمد بن محمد بن عبد الله (ت: 797هـ)، الرصف لما روي عن النبي ﷺ من الفعل والوصف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1414هـ/1994م، ج2، ص48 .

(7) الأَدَمَان: المعروف عنه إنه من عاهات النَّخْل. ينظر؛ الصغاني، الحسن بن محمد بن الحسن (ت:650هـ)، التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب، القاهرة، 1979م، ج6، ص231 .

وَالنَّمَطُ[1] الْخَيِّرُ والسرير والزريبة والقطيفتان[2]، وإن حدث بأحد ممن أوصيت له قبل أن يدفع إليه فانه ينفق منها في الفقراء والمساكين، وإن الأستُر لا تستتر بهن امرأة إلا ابنتي زينب وأم كلثوم، غير إن عليًا ﷺ يستتر بهن إن شاء ما لم ينكح[3] .

وعن سعد بن عبادة إنه قال: يا رسول الله إن أم سعد ماتت، فأي الصدقة أفضل؟ قال: الماء، فحفر بئرًا، وقال: هذه لأم سعد[4]، ووقف عمرو بن العاص ﷺ بالوهط[5] من الطائف، وداره بمكة على ولده، ووقف معاذ بن جبل ﷺ داره التي تسمى دار الأنصار، وتصدق الزبير بن العوام ﷺ بداره بمكة في الحرامية[6] وداره بمصر، وامواله بالمدينة على ولده، ووقف سعد بن ابي وقاص ﷺ داره بالمدينة وداره بمصر على ولده، ووقف حكيم بن حزام ﷺ داره بمكة والمدينة على ولده، ويختم البيهقي وقف كل منهم بعبارة " فذلك إلى اليوم "[7]، وبما أن وفاة الحافظ أبي بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدي المكي الذي روي عنه الأثر كان سنة (219هـ) هذا يعني أنها كانت موجودة قبل هذه السنة بشيء يسير[8]، ثم يقول البيهقي: " وما لا يحضرني ذكره كثير .... وفيما ذكرت من صدقات من تصدق بداره بمكة حجة لأهل مكة في ملك بيوتها وكراء منازلها "[9]، ويقول ابن حزم: " وسائر الصحابة جملة صدقاتهم بالمدينة أشهر من الشمس لا يجهلها أحد "[10] .

---

(1) النَّمَط: الثَّوْب من صوب يُطرح على الهَوْدَج وَغَيره، وَالْجمع أنماط ونِماط . ينظر؛ ابن دريد، جمهرة اللغة، ج2، ص927 .

(2) القطيفة: كسَاء لَهُ أهداب ودثار أَو فرَاش ذُو أهداب كأهداب الطنافس ونسيج من الْحَرِير أَو الْقطن صفيق أوبر تتَّخذ مِنْهُ ثِيَاب وفرش . ينظر؛ دُوزِي، رينهارت بيترآن (ت:1300هـ)، تكملة المعاجم العربية، ترجمة: محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة والإعلام، ط1، العراق، 1979/ 2000م، ج8، ص327 ؛ مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، بلات ، ج2، ص747 .

(3) الشافعي، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت:204هـ)، المسند، بلات، دار الكتب العلمية، بلاط، بيروت، 1400هـ ، ص309 ؛ ابن طبرزد ، أبو حفص عمر بن محمد بن معمر بن يحيى ابن أحمد بن حسان الدارقزي (ت: 607هـ)، جزء ابن طبرزد، مخطوط منشور في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية، ط1، 2004م، رقم: [10]، ص13.

(4) أبو داود، السنن، رقم الحديث [1681]، ج2، ص130 .

(5) الوهط قرية بالطائف على ثلاثة أميال من وجّ كانت لعمرو بن العاص. ينظر؛ ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص386 .

(6) الحراميّة: ماء لبنى زنباع، من بنى عمرو بن كلاب، قبل البئر، ينظر، ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص235.

(7) السنن الكبرى، رقم الحديث [11900]، ج6، ص267 – 268 .

(8) هو أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي الأسدي، أحد الأئمة في الحديث؛ من أهل مكة؛ رحل منها مع الإمام الشافعي إلى مصر، ولزمه إلى أن مات، فعاد إلى مكة يفتي بها. وهو شيخ البخاري، ورئيس أصحاب ابن عيينة. روى عنه البخاري خمس و سبعون حديثا، وذكره مسلم في مقدمة كتابه. توفي بمكة وكان ثقة كثير الحديث . ينظر؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج6، ص44 ؛ ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج5، ص57 – 58 .

(9) السنن الكبرى، رقم الحديث [11900]، ج6، ص267 – 268 .

(10) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت:456هـ) ، المحلى بالآثار، دار الفكر، بيروت، بلات ، ج8، ص157 .

المبحث الثاني

الأوقاف قبل الغزو المغولي

اعتنى الخلفاء العباسيون عناية كبيرة بالأوقاف فازدهرت في عهدهم ازدهارًا كبيرًا، يتضح ذلك من خلال ما بلغته من سعة في مردوداتها المالية، حتى صار للأوقاف الرسمية ديوانًا خاصًا عرف باسم ديوان البر[1]، فهي إضافة إلى الدور الكبير الذي كانت تقوم به على المستوى الإنساني كانت تقدم ايضًا الكثير من المساعدات للفقراء والأيتام والأرامل والأهلين في النكبات والأزمات، وكان دورها كبيرًا جدًا على المستوى الثقافي والتعليمي[2]، وكذلك كانت تقدم الكثير من الخدمات الصحية للمرضى من الأهلين على كافة مستوياتهم[3] .

وحرص الخلفاء العباسيون على الأوقاف لأنها كانت تقوم بأعباء كبيرة هي في الأصل من واجبات الدولة، ووقفوا بوجه من اراد التلاعب فيها وإن كان من الخاصة، فقد منع المقتدر بالله والدته السيدة شغب[4] من التلاعب بكتاب وقف ضيعة كانت لها وقفتها، ثم ارادت استردادها وبيعها[5]، ولم يكن يولى على الاوقاف إلا الثقات من القضاة والفقهاء والعدول، لعظم المسؤولية الملقاة على عاتقهم، ولضمان عدم تعرضها للتلاعب والاختلاس إذما سلمت إلى أياد غير أمينة لتحفظها وتصنها، وللركون إلى استقامتهم والثقة بهم بسبب كثرة ما تدر هذه الوقوف من أموال جزيلة[6] .

وظل الخلفاء يرعون المصالح الوقفية ويحمونها من التلاعب باعتبارهم المسؤول الأعلى على حماية البلاد وممتلكاتها العامة والخاصة، فكانوا يتدخلون في شؤون الأوقاف متى تطلب منهم ذلك حين تعرضها لأي تلاعب. وعلى سبيل المثال لا الحصر ما كتبه صفي الدين بن عمارة إلى الخليفة الناصر لدين الله (575 - 622هـ) يبلغه فيه بحدوث تلاعب كبير في الأوقاف من قبل أصحاب الأملاك بناحية بعقوبا[7]، وناحية

---

(1) الصابي، الهلال بن المحسن (ت: 448هـ)، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة الأعيان، بلات، ص310 .

(2) ابن فضل الله، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت:749هـ) ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، ط1، أبو ظبي ، 1423هـ ، ج3، ص203 .

(3) التطيلي ، بنيامين بن بونة النباري الإسباني اليهودي (ت:569هـ) ، الرحلة، المجمع الثقافي ، ابو ظبي ، ط1، الامارات العربية المتحدة ، 2002م، ص298 .

(4) شغب أم الخليفة المقتدر بالله كانت من جواري أبيه المعتضد بالله أبي جعفر الذي أعتقها وتزوجها، ولما آلت الخلافة لابنها (المقتدر) سنة (295هـ)، وعمره ثلاث عشرة سنة قامت بتوجيهه، واستولت على أمور الخلافة. ينظر؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج13، ص321 ؛ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت: 1396هـ)، الاعلام، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 2002م، ج3، ص168 .

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص233 – 234 .

(6) المقريزي ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي (ت: 845هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1418هـ ، ج4، ص87 .

(7) بعقوبا قرية كبيرة كالمدينة بينها وبين بغداد عشرة فراسخ، من أعمال خراسان كثيرة الأنهار والبساتين، يضرب بحسنها وجودتها المثل، وهي راكبة على نهر ديالى من جانبه الغربي، وعلى جنبي النهر سوقان، وعليه قنطرة، وعلى ظهر القنطرة يتصل بين السوقين، والسفن تجري تحت القنطرة إلى قرية باجسرا، وبها عدة حمامات ومساجد، وينسب إليها جماعة من أهل العلم. ينظر؛ ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص453 ؛ مجيد، تحسين حميد، دراسات في تاريخ ديالى، المطبعة المركزية بجامعة ديالى، بعقوبة، 2010م، ج1، ص95 – 103 .

بوهرز[1] سنة (581هـ)، إذ أخذوا جملة كبيرة من أموال الوقف، قدرت ذهبًا بـ (مائة الف دينار)، وإذما تقدم الخليفة لمحاسبتهم، فسيحصل على مال جزيل، وأرباب الأملاك لا يعترفون بشيء من ذلك، فوقع الخليفة بتقليد ذلك قاضي القضاة " فان ثبت عنده شيء يحكم به، وإن لم يثبت عنده شيء فلا حاجة لنا بأموال الرعية "[2] .

إدارة الأوقاف :

أدى إقبال الناس على الأوقاف والعناية بها إلى إنشاء مؤسسات واجبها الإشراف عليه وإدارة مصالحه، إذ كانت قبل ذلك تدار من قبل الواقفين، أو ممن يوكل إليه إدارتها للقيام بمصالحها، إلا أن كثرة الأوقاف وتنوعها، استدعى ذلك أن تقوم بعض الأجهزة بالعناية بالأوقاف، وكان القضاة في بغداد وغيرها من حواضر العالم الإسلامي يتولون الإشراف على الأوقاف بأنفسهم ويحاسبون المتولين عليها[3]، فإذا رأوا منهم أي تقصير، أو تهاون في حفظ الأوقاف وصيانتها قاموا بتأديبهم والأخذ عليهم[4]، وولي العمري[5] قضاء مصر من قبل الخليفة هارون الرشيد سنة (185هـ)، وكان من أشد الناس حبًا لعمارة الأحباس والأوقاف. فقد كان يقف عليها بنفسه، ويجلس مع البنائين أكثر نهاره[6]، ثم بعد ذلك حصل لهذا الديوان تطور كبير عندما أشار الوزير علي بن عيسى[7]على الخليفة المقتدر بالله بوقف المستغلات بمدينة السلام والضياع الموروثة بالسواد الجارية في ديوان الخاصة، وكان ارتفاعهما حوالي (مئة الف دينار)، على الحرمين والثغور، فقبل رأيه وأشهد بذلك القضاة والشهود على نفسه، ونصب الوزير علي بن عيسى لهذه الوقوف ديواناً سماه ديوان البر[8]، ولم يستمر هذا الأمر طويلاً فمع بداية النصف الأول من القرن الرابع الهجري، كان يعين متولي للأحباس ونفقة الأيتام بالإضافة إلى القاضي، ولعل أهم من تولى النظر في الأوقاف ونفقة الأيتام بعد فصلها

---

(1) بُوَهْرِزُ: قرية كبيرة ذات بساتين، وبها جامع ومنبر قرب بعقوبا، بينها وبين بغداد نحو ثمانية فراسخ. ينظر، ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص512 .

(2) الأيوبي، محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه (ت: 567هـ)، مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق: حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة، 1401هـ، ص207 – 208 .

(3) الكبيسي، محمد عبيد عبدالله، أحكام الوقف في الشريعة الاسلامية، مطبعة الرشاد ، بغداد ، 1977م، ج1، ص38.

(4) الكندي، محمد بن يوسف بن يعقوب (ت: بعد 355هـ)، كتاب الولاة وكتاب القضاة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1424هـ - 2003م ، ص277 .

(5) عبد الرحمن بن عبد الله العمري تولى قاضاء مصر سنة (185هـ). هو أول من عمل (تابوت القضاة) في بيت المال، وجعل فيه أموال اليتامى، ومال من لا وارث له. استمر في القضاء تسع سنين وشهرين. ثم عزله الأمين لما ولي الخلافة (سنة 194هـ)، وفرح الناس بعزله. ينظر، ابن حجر، رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1998م، ص456 ؛ الزركلي، الأعلام، ج3، ص312 – 314 .

(6) الكندي، الولاة والقضاة، ص285 .

(7) علي بن عيسى بن داود بن الجراح وزير الخليفة المقتدر بالله، والخليفة القاهر بالله ولد سنة (245هـ)، وأصله من الفرس. كان صدوقًا فاضلًا، عفيفًا في ولايته، كثير المعروف وقراءة القرآن والصلاة والصيام، يحب أهل العلم، ويكثر مجالستهم. ينظر، ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص56 – 61 .

(8) الصابي، تحفة الأمراء، ص310 .

عن القضاء بكران[1] بن الصباغ، وقدم معه أحمد بن عبدالله الكشي، وقد جعل لهما النظر في الأوقاف في عهد الخليفة العباسي الراضي في ربيع الآخر سنة (321هـ). فكانت هذه الخطوة بداية إنشاء ديوان مستقل للأحباس منفصل عن ديوان القضاء[2] .

ثم أصبح للأوقاف إدارة خاصة مستقلة عن القضاء، فكان لإدارتها رئيس يسمى (صدر الوقوف)، للإشراف عليها وتعيين المساعدين له للنظر فيها، وازداد دورها الاجتماعي والاقتصادي مما أدى إلى ضرورة إنشاء هياكل تنظيمية، ولكنها ظلت مرتبطة بالجهاز الإداري، وظهرت مؤلفات ومدونات فقهية خاصة لضبط أحكامها وحمايتها من الضياع وسوء التصرف[3]، واستمر هذا المنصب في الدولة الايلخانية أيضا فتولاه لهم الخواجة نصير الدين الطوسي[4]، والصدر جمال الدين السمناني[5][6] .

متولي الأوقاف :

مع مطلع القرن السابع تولى نظر ديوان الأوقاف قاضي القضاة القاسم بن الشهرزوري[7] عندما رد إليه النظر في وقوف المدارس جميعها والأوقاف العامة سنة

---

(1) بكران بن الصباغ قدم من الشام إلى مصر واليًا على الأوقاف ونفقة الايتام. وجعل بكران النظر في الأحكام للكشي. وأمر الشهود بحضور مجلسه، والشهادة على حكمه فحضروا، وأراد أن يقضوه في الإشهاد عليه، فامتنعوا من ذلك، وتظلم جماعة عند الإخشيد فساءه ذلك، وأمر بإحضار بكران، فناله منه مكروه، ومنعه ومنع الكشي من الحكم. ينظر؛ الولاة والقضاة، ص351 ؛ ابن حجر، رفع الإصر عن قضاة مصر، ص265 .

(2) أمين، محمد محمد، الوقف والحياة الاجتماعية بمصر، ط1، القاهرة، 1980م، ص51 – 52 .

(3) المهيدب، خالد بن هدوب بن فوزان، أثر الوقف على الدعوة إلى الله تعالى، مطبعة وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف، الرياض، 1426هـ، ص 52.

(4) نصير الدين الطوسي (ت: 672هـ) الفيلسوف صاحب علم الرياضي. كان رأسًا في علم الأوائل لاسيما في الأرصاد والمجسطي فإنه فاق الكبار، وكان ذا حرمة وافرة ومنزلة عالية عند هولاكو، وابتنى بمراغة قبة ورصدًا عظيمًا، واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء وملأها من كتب بغداد والشام والجزيرة حتى تجمع فيها زيادة على أربعمائة ألف مجلد، وقرر بالرصد المنجمين والفلاسفة، وجعلت له الأوقاف، وكان حسن الصورة سمحًا كريمًا جوادًا حليمًا حسن العشرة غزير الفضل. مات بدار سوسيان، ودفن بمشهد موسى بن جعفر ﷺ. وذكر ابن العبري انه مات مسمومًا؛ لكن المؤلف المجهول يشير إلى انتحاره عند ذكره لبناء الرصد مع احداث سنة (657هـ). ينظر؛ مجهول، الحوادث، ص371 - 416 ؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص330 ؛ محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن (ت: 764هـ)، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، 1974م، ج3، ص246 – 247 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص147 – 151 ؛ الهمذاني، جامع التواريخ، م2، ج2، ص66 ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص493 ؛ الزركلي، الأعلام، ج7، ص30 – 31 ؛ حسين، يحيى ابراهيم، تعقيب حول الطوسي عالم الرياضيات، مجلة دار المنظومة، الرياض، مجلد: 4، عدد4، بلات، ص349 – 351 .

(5) لم أقف له على ترجمة في جميع المصادر التي استطعت الوصول اليها .

(6) ابن الفوطي، عبد الرزاق بن أحمد الشيباني (ت: 723هـ)، مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: محمد كاظم، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط1، ايران، 1416هـ ، ج3، ص21 .

(7) القاسم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم الموصلي، تولى منصب قاضي القضاة للخليفة الناصر الدين الله سنة (595هـ)، إلى أن عزل سنة (597هـ). ينظر؛ سبط ابن الجوزي، يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله (ت: 654هـ)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الرسالة العالمية، ط1، دمشق، 1434هـ/ 2013م، ج22، ص89 ؛ ابن كازروني، علي بن محمد بن محمود البغدادي (ت: 697هـ)، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تحقيق: مصطفى جواد، المطبعة الحكومية، بغداد، 1970م، ص251 – 252 ؛ الأربلي، عبد الرحمن بن إبراهيم بن سنبط قنيتو (ت:717هـ)، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، تحقيق: مكي جاسم، مكتبة المثنى، ط2، بغداد، 1964، ص283 – 284 .

(595هـ)[1]. وتولى أبو عبدالله محمد بن يحيى ابن فضلان[2] النظر في أوقاف المدارس والربط ودرس مدة في المدرسة النظامية ومدرسة دار الذهب، ثم رتب قاضيًا للقضاة ورد إليه النظر في ديوان الحسبة والنظر في أوقاف المدارس والربط واستمر على ذلك حتى توفي الخليفة الناصر لدين الله سنة (622هـ)، إذ عزله الخليفة الظاهر بالله عند مجيئه إلى الخلافة، ثم استدعاه، وولاه نظارة المارستان العضدي[3] .

وقلد الخليفة المستنصر بالله (623–640هـ)، أبو المعالي عبدالرحمن بن مقبل بن علي بن مقبل[4] الطحان منصب قاضي القضاة شرقًا وغربًا، ونظر الأوقاف، وقرئ عهده بجامع مدينة السلام واستمر على ذلك مدة[5] .

وكان ممن تولى النظر بهذا الديوان أيضًا محب الدين أبو حفص عمر[6] بن عفيف البغدادي المقرئ المعدل سنة (630هـ)[7]، ورد النظر في أوقاف مدارس الحنفية والربط وجامع السلطان إلى فخر الدين أبي طالب أحمد[8] ابن الدامغاني مشرف الديوان، وكفت يد نواب قاضي القضاة ابن مقبل عنها[9] .

---

(1) ابن الساعي، تاج الدين علي بن أنجب (ت: 674هـ)، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، تحقيق: مصطفى جواد، المطبعة السريانية الكاثوليكية، بغداد، 1934م، ج9، ص20 .

(2) محمد بن يحيى بن فضلان (ت: 631)، ولد سنة (568هـ). كان فقيهًا عالمًا تفقه على أبيه ورحل إلى خراسان في طلب الفقه، ثم عاد الى بغداد ودرس بعد أبيه بمدرسة دار الذهب ورتب كاتبًا بدار التشريفات، ثم ولي التدريس بالنظامية سنة (614هـ)، والنظر في أوقافها، ثم ولي قضاء القضاة في سنة (619هـ) وأضيف اليه النظر في الوقوف. ينظر؛ مؤلف مجهول (ق 8هـ)، الحوادث، تحقيق: بشار عواد، وعماد عبد السلام، انتشارات رشيد، ط1، قم، 1383هـ، ص90 – 97 .

(3) مجهول ، الحوادث ، ص90 – 91 .

(4) عبد الرحمن بن مقبل بن الحسين بن علي بن مقبل الواسطي. قرأ القراءات وتفقه للشافعي وبرع في المذهب، وأفتى ودرس وناب في القضاء عن أبي صالح الجيلي، ثم اشتغل بقضاء القضاة في سنة (624هـ). ينظر؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: 748هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، 1413هـ/ 1993م، ج46، ص204 ؛ ابن كثير، طبقات الشافعيين، تحقيق: أنور الباز، دار الوفاء للنشر، ط1، المنصورة، 2004م ، ص833 ؛ اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت768هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر حوادث الزمان، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1417هـ/ 1997م، ج4، ص79 ؛ بامخرمة، قلادة النحر، ج5، ص185 ؛ ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري (ت: 1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط1، دمشق – بيروت، 1406هـ/ 1986م، ج5، ص203 .

(5) السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين (ت: 771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، ط2، الجيزة، 1413هـ، ج8، ص187.

(6) محب الدين عمر بن عبد العزيز بن دلف بن طالب البغدادي المقرئ المعدل. كان والده مقبول القول عند الخليفة المستنصر بالله، ونشأ محب الدين في خدمة والده، وحفظ القرآن، وقرأ بالروايات على المشايخ، وسمع أباه وغيره وحج في جملة من حج واعتمر عن المستنصر بالله سنة (624هـ)، وأنعم عليه بخمسمائة دينار وخلعة نفيسة، ورتب ناظرًا في ديوان الوقوف سنة (630هـ). ينظر؛ ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج5، ص25 .

(7) ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج5، ص 25 .

(8) فخر الدين أحمد بن محمد بن الحسن بن الدامغاني البغدادي صاحب الديوان. تنقل في الولايات والمراتب والمناصب، ورتب النواب في الأعمال من غير مشاورة الوزير. وكان الخليفة المستنصر بالله قد وكله بأن يلبس السلطان جلال الدين خوارزم شاه لباس الفتوة سنة (625هـ)، وولي صدرية عرض الجيش، وأنفذ إلى الكامل بمصر، وولي ديوان الزمام في رجب سنة (648هـ)، ولما قتل الخليفة المستعصم استبقاه هولاكو، ثم نسب إليه أنه بعث صبيًا من أولاد الخلفاء إلى بلاد الشام، فأعدمه هولاكو سنة (658هـ). ينظر، ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج2، ص549 – 550 .

(9) مجهول، الحوادث، ص67 – 68 .

وكان قاضي القضاة هو الذي يولي على الأوقاف في المناطق، ففي سنة (627هـ) قلد قاضي القضاة عبد الرحمن بن مقبل الواسطي، أبي عبد الله محمد[1] بن أبي الفضل الحنفي قضاء واسط، وولاية الوقوف فيها[2]. وهنا يتضح لنا أن الولاة بهذا الديوان كانوا من القضاة أو الفقهاء أو المُعَدلين لأهمية المسؤولية الملقاة على عاتقهم .

أما ناظر الوقف أو متوليه أو قيمه، فهو الشخص الذي يتولى إدارته وترتيب شئونه إداريًا وماليًا وتنفيذ شرط الواقف، وغير ذلك من أمور الولاية، وهو إنما يتولى ذلك نيابة عن غيره، وليس تصرفه كتصرف الإنسان في ملكه[3] .

مؤسسة شيخ الشيوخ ورباطه :

ابتدأ ظهور هذا المصطلح بعد بناء أبو سعد أحمد[4] بن محمد بن دوست النيسابوري (ت: 477 أو 479هـ)[5]، شيخ الشيوخ لرباطه بنهر معلى[6]، وبنى وقوفه، يقول ابن الأثير: " كان عالي الهمة كثير التعصب لمن يلتجئ إليه ... وكانت له منزلة كبيرة عند السلطان "[7]. ولا نمتلك سنة محددة لبناءه إلا إشارة وردت في المنتظم في أحداث سنة (450هـ) أثناء تطرقه لأحداث فتنة أمير الأمراء أرسلان البساسيري، إذ أحرق الرباط بعد أن نهب دار الخلافة[8]، وهذا يعني إن الرباط كان موجودًا قبل هذه الفترة، وربما يكون ثاني أقدم رباط في بغداد بعد رباط[9] ابن الزوزني[10] .

---

(1) محمد بن ابي الفضل الحنفي ويعرف بربيب الإبري مات في حدود سنة (670هـ). ينظر؛ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت: 1067هـ)، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، استانبول، 2010م، ج4، ص245 .

(2) مجهول، الحوادث، ص32 .

(3) ابن المبرد، يوسف بن حسن بن عبد الهادي الدمشقي (ت: 909هـ)، الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، دار المجتمع للنشر، ط1، جدة، 1411هـ/ 1991م، ج3، ص619 ؛ قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص472 .

(4) أحمد بن محمد بن دوست دادا شيخ الشيوخ النيسابوري. ذا منزلة كبيرة، وحرمة عند الدولة. قيل فيه: الحمد لله الذي أخرج رأس أبي سعد من مرقعة، فلو خرج من قباء لهلكنا. صحب الزاهد القدوة أبا سعيد فضل الله بن أبي الخير المهيني، وكان ذا همة شريفة، وأخلاق سنية. كان بينه وبين نظام الملك مودة. ينظر؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1405هـ - 1985م، ج18، ص491 – 492 ؛ تاريخ الإسلام، ج32، ص258 – 260 ؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص344 .

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج16،ص235 ؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان، ج19، ص390 ؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر تحقيق: محمد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، بلات، ج3، ص296 .

(6) المُعلى من أنهار بغداد القديمة يستمد الماء من نهر الخالص، سمي نسبة إلى المعلى بن طريف مولى الخليفة المهدي الذي كان من كبار قادة الخليفة الرشيد. يدخل مجرى النهر لمدينة بغداد من جانبها الشرقي، فيسير تحت الأرض حتى يدخل دار الخلافة، ويسمى بالفردوس، ويمر بين الدور إلى باب سوق الثلاثاء، ثم يصب في دجلة. ينظر، ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص324 ؛ الطهطاوي، علي أحمد عبد العال، السنة والأثر شرح كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م ، ص82 .

(7) ابن الأثير، علي محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت: 630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1417هـ/ 1997م، ج8، ص314 .

(8) ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص34 .

(9) رباط ابن الزوزني منسوب لأبي الحسن علي بن محمود بن ابراهيم الزوزني (ت: 451هـ)، وهو في الأصل رباط أبي الحسن علي بن ابراهيم البصري الزاهد (ت: 371هـ)، بني على قطعة أرض تابعة لجامع المنصور في بغداد تعرف بدار القطان فصار مقابلًا للجامع. ينظر. جواد، مصطفى، الربط الصوفية البغدادية وأثرها في الثقافة الاسلامية، الدار العربية للموسوعات، ط1، بيروت، 1426هـ/ 2006م، ص55 .

(10) ابو الحسن علي بن محمود بن إبراهيم بن ماخرة الزوزني البغدادي المسكن. كان جده ماخرة مجوسيًا. ذكره الخطيب البغدادي، فقال: كتبت عنه، وكان لا بأس به، وكانت ولادته في سنة (366هـ)، ووفاته في سنة (451هـ)، ودفن بباب الرباط. ينظر؛ أحمد بن علي بن ثابت (ت: 463هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1422هـ/ 2002م، ج13، ص605 ؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج43، ص231 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج30، ص311 – 312 .

وقد تولى مشيخة الشيوخ، والرباط بعد وفاة أبي سعد شيخ الشيوخ أبنائه حتى وفاة آخرهم سنة (596هـ)، وهم :

- صدر الدين أبو البركات إسماعيل بن أحمد بن محمد بن دوست (ت:541هـ)[1] .
- صدر الدين عبد الرحيم بن أحمد بن محمد بن دوست (ت:580هـ)[2] .
- صدر الدين عبد اللطيف بن إسماعيل بن أحمد بن محمد بن دوست (ت:596هـ)[3] .

ثم ولي المشيخة من أسباطهم :

- عبد الوهاب[4] بن سكينة (ت:607هـ)، هو سبط إسماعيل بن أبي سعد النيسابوري شيخ الشيوخ، وأبناءه من بعده، وهم :
- عبد الواحد[5] بن عبد الوهاب بن سكينة (ت: 608هـ) .

---

(1) إسماعيل بن أحمد بن محمد بن دوست دادا شيخ الشيوخ البغدادي المولد والمنشأ. تربى على طريقة الصوفية وتخلق بأخلاقهم حتى صار من شيوخهم المعتبرين، وسادتهم المشهورين، وبه يعرف رباط شيخ الشيوخ ببغداد، الذي عمره أبوه. ينظر؛ ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله (ت: 660هـ)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بلات، ج4، ص1625 – 1628 ؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج20، ص160 .

(2) عبد الرحيم بن أحمد بن محمد بن دوست دادا شيخ الشيوخ ابن شيخ الشيوخ أبي البركات ابن شيخ الشيوخ أبي سعد الصوفي. شيخ وقته، والمقدم في زمانه، والرئيس على أقرانه، وكان وجيهًا عند الخاص والعام محترمًا عند القريب والبعيد. نفذ من الديوان رسولًا إلى جهات عدة. وكان مشكور الطريقة، حسن السفارة، محمود الأمور. ينظر؛ ابن الدبيثي، أبو عبد الله محمد بن سعيد (ت: 637هـ)، ذيل تاريخ مدينة السلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي ، ط1، 1427هـ/ 2006م، ج4، ص86 – 88 .

(3) عبد اللطيف بن إسماعيل بن أحمد بن محمد بن دوست دادا. كان بليدًا ذا شهوة لا يفهم شيئًا. سمع منه قوم لا ينظرون في أهلية الرواية تكثيرًا للعدد، أتاه بعض الطلبة بجزء فيه سماعه ليقرأه عليه، فصادفه في شغل من عمارة رباط والده، فوقف ينتظر فراغه، فلما طال عليه الوقوف قال له: امض إلى ضياء الدين عبد الوهاب ابن سكينة، ليسمعك إياه عني فإني مشغول، فعلم عنه أنه لا يدري قاعدة هذا الأمر ولا يفهمه، وأنه لا تصح فيه النيابة. ينظر؛ ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، ج4، ص189–190 ؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج12، ص1079 .

(4) عبد الوهاب بن علي بن علي بن عبيد الله ابن سُكَيْنَةَ شيخ العراق في وقته. إمام مقرئ كامل حاذق صالح، ولد سنة (517هـ)، ولبس الخرقة من جده أبي البركات النيسابوري وصحبه، وطال عمره وانتهت إليه مشيخة العلم، فقصده الطلبة من البلاد، وكانت أوقاته محفوظة، فلا تمض له ساعة إلا في قراءة أو ذكر أو تهجد أو تسميع، ما رأي أكمل منه ولا أكثر عبادة ولا أحسن سمتًا، توفي في سنة (607هـ). ينظر؛ ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، ج4، ص171 ؛ الصفدي، خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: 764هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث، بيروت، 1420هـ/ 2000م، ج19، ص206 ؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج8، ص324 – 325 ؛ ابن قطلوبغا، أبو الفداء زين الدين قاسم الجمالي (ت: 879هـ)، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، تحقيق: شادي بن محمد بن سالم، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث، ط1، صنعاء، 1432 هـ/ 2011م، ج6، ص510 .

(5) عبد الواحد بن عبد الوهاب بن سكينة ويلقب بالمعين. سافر إلى الشام في أيام الأفضل أمير الجيوش، وبسط لسانه في الدولة، فأرسل إليه من بغداد شخصًا ليقتله، فوثب عليه مرارًا بدمشق، فلم يقدر عليه، فكتب إلى الخليفة كتابًا يتنصل فيه مما قيل عنه، ويعتذر، ويسأله العفو، فعفا عنه، وكتب له كتاب أمان، فقدم بغداد، فولاه مشيخة الشيوخ، وأُعطي رباط المشرعة، ثم بعثه بعد ذلك في رسالة إلى جزيرة كيش، ومعه جماعة من الصوفية، فغرق في البحر ومن معه. ينظر؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص188 ؛ الذهبي، مختصر تاريخ ابن الدبيثي، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1417هـ/ 1997م، ص269 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج43، ص298 ؛ ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله

- عبد الرزاق[1] بن عبد الوهاب بن سكينة (ت:635هـ) .
- محمد[2] بن عبد الرزاق بن عبد الوهاب بن سكينة (ت: 644هـ) .

وفي الفترة العباسية الأخيرة انفصل أمر النظر في أوقاف رباط شيخ الشيوخ عن مشيخته وبدا ذلك واضحًا عندما تخلى محمد بن عبد الرزاق بن عبد الوهاب وبطلب منه عن المشيخة مقابل توليته حاجبًا بباب المراتب مع الاحتفاظ بنظره على الرباط المذكور[3]. ثم صار هذا المنصب يرتب بأمر من الخليفة أو من ينوب عنه .

ثم بعد ذلك ولي هذا المنصب الشهاب[4] السهروردي (ت:632هـ)، ومن بعده ابنه عماد الدين[5] محمد (ت:655هـ)، وفي هذه الفترة انفصل هذا اللقب عن مشيخة رباط

الظاهري الحنفي (ت: 874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، القاهرة، بلات، ج6، ص203 .

(1) عبد الرزاق بن عبد الوهاب بن سكينة. كان شيخًا جليلًا جاور بمكة سنتين مع والدته، وحدث ببغداد ودمشق وكتب عنه الكبار، وتولى رباط جده، ونظر المارستان العضدي. توفي ببغداد في سنة (635هـ). ينظر؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1417هـ، ج15، ص261 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج14، ص180 ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص19 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج18، ص248 ؛ ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر (ت: 809هـ)، نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، تحقيق: سمير طبارة، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1420هـ/ 1999م، ص107 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج6، ص301 ؛ ابن قطلوبغا، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، ج6، ص337 .

(2) محمد بن عبد الرزاق بن عبد الوهاب بن سكينة. كان حافظًا للقرآن كثير التلاوة له، حج مع والده، ولما توفي والده أقر على مشيخة الرباط والنظر في وقفه، وكان يحب التشبه بأرباب الولايات، فرتب حاجب باب المراتب في المحرم من سنة (642هـ)، ثم عدل بعد ذلك. مات في سنة (644هـ)، ودفن عند آبائه. ينظر؛ ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج3، ص425 – 426 .

(3) مجهول ، الحوادث ، ص255 – 256 .

(4) عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه القرشي. كان رجلًا صالحًا عابدًا زاهدًا ورعًا كثير الاجتهاد في العبادة والرياضة مشاركًا في بعض العلوم. ولد أواخر شهر رجب سنة (539هـ) بسهرورد، ونشأ بها بمقاطعة الجبل بفارس إلى أن بلغ قريبا من ست عشرة سنة، ثم قدم مع عمه ابو النجيب الى بغداد واستوطنها. صحب عمه كثيرا، وعنه أخذ التصوف والوعظ، ومعرفة الحقيقة والطريقة، وكان له بها قدم ثابت، ولسان ناطق، وتصنيف في شرح أحوالهم الا وهو كتاب عوارف المعارف في بيان طريق القوم، وتخرج عليه خلق كثير من الصوفية في المجاهدة والخلوة. أضر في آخر عمره، وأقعد وما أخل بشيء من الأوراد ودوام الذكر وحضور الجمع في محفة، إلى ان ضعف، فانقطع في منزله حتى وفاته سنة (631هـ)، عن 93 سنة، ودفن في الوردية – مقبرة الشيخ عمر – على جادة سور الظفرية. ينظر؛ ابن نقطة، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر البغدادي (ت: 629هـ)، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1408 هـ/1988م، ص398 – 399 ؛ ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر الكندي (ت: 749هـ)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1417هـ/ 1996م، ج2، ص158 – 159 ؛ ابن الشعار، المبارك بن أحمد بن حمدان الموصلي (ت: 654هـ)، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2005م، ج4، ص190 – 191 ؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: 774هـ)، البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن، دار هجر للطباعة والنشر، ط1، 1418هـ/ 1997م، ج13، ص162 ؛ المقريزي، المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، ط2، بيروت، 1427هـ/ 2006م، ج4، ص380 .

(5) عماد الدين محمد بن عمر بن محمد بن عبد الله بن حمويه. ولد في صفر بسهر ورد سنة (587هـ)، وسمع من أبي الفرج بن الجوزي وغيره، وكان كبير القدر. ينظر؛ اليونيني، موسى بن محمد (ت: 726هـ)، ذيل مرآة الزمان، وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، دار الكتاب الإسلامي، ط2، القاهرة،

شيخ الشيوخ وأصبح مرتبطًا بالشخوص لا بالمؤسسة التي ارتبط بها عند نشأته الأولى؛ لان كل من المذكورين آنفا لم يرد عنهما أنهما وليا مشيخة ذلك الرباط، ومما يؤكد ما ذهبنا إليه تولية مشيخة الشيوخ لشمس الدين علي بن النيار (ت:656هـ)[1]، والذي كان متوليًا لرباط والدة الخليفة الناصر لدين الله العباسي[2] .

بدأ لقب ومنصب شيخ الشيوخ ديني من واجباته النظر في أمور المشيخات الاجتماعية والدينية مثل مشايخ الصوفية، ومشايخ دور العلم والربط، ثم انتهى به الأمر بعد محاولات الخلافة جره شيئا فشيئا من منصب ديني إلى منصب دنيوي للسيطرة على رعاياها من خلال هذه المؤسسات، وبدى ذلك واضحا منذ عهد شيخ الشيوخ الأول حين احترق ضريح الشيخ معروف الكرخي أمره الخليفة بعمارته[3]، وبعد ذلك إرسال الخليفة الناصر لشيخ الشيوخ الثاني عبد الرحيم بن دوست في السفارات إلى السلاطين والملوك، فقد أرسله إلى خراسان وإذربيجان سنة (575هـ)، للقاء بهلوان ابن إلدكز[4] رسولاً كي يخطب له على منابرهما[5]، وأرسله مرات عديدة إلى السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، فصارت بينهما مودة[6] .

كذلك حاول الخلفاء العباسيون جعل مشيخة الشيوخ مؤسسة دينية رسمية ليتحكموا بواسطتها بحركة التصوف والأهلين في بغداد، أذ كان ينظر إلى شيخ الشيوخ وقاضي القضاة على انهما " صدرا هذه الأمة من جانب الشرع والدين "[7] .

وأضاف الخلفاء العباسيون لمشيخة الشيوخ شيء من الهالة والأبهة لدلالة على المكانة المرموقة التي كان يتمتع بها رباط شيخ الشيوخ، فنرى الخليفة الناصر لدين الله

1413 هـ/ 1992 م، ج1، ص79 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج48، ص268 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص184 .

(1) علي بن محمد بن الحسين بن النيار البغدادي. وهو الذي لقن الخليفة المستعصم بالله القرآن، فنال في خلافته الحشمة والجاه والحرمة الزائدة. كان بارع الخط كثير المحاسن كبير القدر. ندب للوزارة فأباها. ذبح بدار الخلافة في صفر من سنة (656هـ) مع جملة من ذبح من الخلق. ولما سحبه التتري للقتل ناوله شيئًا وقال له: هذا ثمن قميصي، فلا تهتكني، فوفى له، ثم عرفت جثته، وحملت بعد إلى تربته. ينظر؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج48، ص276 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج21، ص283 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، 238 .

(2) مجهول ، الحوادث ، ص228 .

(3) ابن الاثير، الكامل، ج8 ، ص212 .

(4) بهلوان بن الدكز، الأتابك شمس الدين صاحب أذربيجان وعراق العجم أصبهان، والري، وبلاد آران. كان أبوه الأتابك إلدكز كبير القدر، وكان أتابك السلطان رسلان شاه بن طغريل بن محمد بن ملك شاه، فمات هو وسلطانه في سنة (570هـ)، فتملك البهلوان إلى أن مات سنة (581هـ)، وقام بعده أخوه الملك قزل من أمه، فبقي إلى أن مات سنة (587هـ). وكان البهلوان قد أقام في الملك طغرل بن أرسلان شاه آخر ملوك بني سلجوق، فكان من تحت حكم البهلوان. وخلف البهلوان فيما قيل خمسة آلاف مملوك وثلاثين ألف دابة، ومن الأموال ما لا يحصى. ينظر؛ ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم الإربلي (ت: 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بلاط، بيروت، 1900م ، ج5، ص208 ؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج41، ص102– 103 .

(5) ابن الاثير، الكامل، ج9، ص443 .

(6) ابن شاهنشاه ، محمد بن عمر المظفر (ت: 617هـ)، مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق: الدكتور حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة، بلات ، ص6 – 7 ، 107 – 108، 132 ، 162 ؛ ابن الاثير، الكامل ، ج9، ص413 ، ص443 ، ص465 ، ص476 ، ص484 ، ج10، ص283 .

(7) ابن شاهنشاه، مضمار الحقائق، ص134 .

أمر إلا يتعرض أحد لشخص كان قد اعتصم برباط شيخ الشيوخ ولو كان عليه المال والدم[1]، فصار رباط شيخ الشيوخ " ملجأ لكل خائف "[2] ، فكان من بينهم الوزير عضد الدين ابن رئيس الوزراء[3] الذي لجأ للرباط سنة (570هـ)، خائفا من قطب الدين قايماز[4]، فسلم بحمايته من سطوة قطب الدين المذكور[5]، وأسكن شيخ الشيوخ سنة (580هـ) داود[6] صاحب الديوان في دار قريب من رباطه فكان لا يزال ملازمًا للرباط ليلًا ونهارًا ولا يخرج منه خوفًا من أستاذ الدار[7][8]، والتمس قاضي القضاة[9] شفاعة

---

(1) ابن شاهنشاه، مضمار الحقائق ، ص135 .

(2) ابن الاثير ، الكامل ، ج9، ص485 .

(3) الوزير محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء. كان أبوه أستاذ دار الخليفة المقتفي، فلما مات ولي ابنه مكانه، ولما مات المقتفي أقره الخليفة المستنجد ورفع قدره، ثم استوزره الخليفة المستضيء. قتل في طريقه لأداء مناسك الحج. ينظر، العماد الكاتب، محمد بن محمد بن حامد الأصبهاني (ت: 597هـ)، البرق الشامي، تحقيق: فالح حسين، مؤسسة عبد الحميد شومان، ط1، الأردن، 1987م، ج3، ص86 – 88 ؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد الأشبيلي (ت: 808هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، ط2، بيروت، 1408هـ - 1988م، ج3، ص652 .

(4) قطب الدين قايماز بن عبد الله المستنجدي. كان متنفذا في عهد المستنجد، ثم بايع للمستضيء وجعله أمير العسكر، ثم استفحل أمر قايماز وغلب على الدولة وحمل المستضيء على عزل عضد الدين أبي الفرج من الوزارة، فلم يمكنه مخالفته، وأراد الخليفة أن يعيده إلى الوزارة فمنعه قطب الدين، واستطال قايماز على الدولة. ثم سخط قايماز على ظهير الدين ابن العطار صاحب المخزن وكان خاصًا بالخليفة، وطلبه فهرب فأحرق داره، وجمع الأمراء، فاستحلفهم على المظاهرة، وأن يقصدوا دار المستضيء ليخرجوا منها ابن العطار، فقصد المستضيء على سطح داره وخدامه يستغيثون، ونادى ليخرجوا منها ابن العطار، ونادى الخليفة في العامة بطلب قايماز ونهب داره فهرب من ظهر بيته، ولحق قايماز بالحلة وتبعه الأمراء، وبعث إليه المستضيء شيخ الشيوخ عبد الرحيم ليسير عن الحلة إلى الموصل تخوفًا من عوده إلى بغداد، فيعود استيلاؤه لمحبة العامة فيه، فسار إلى الموصل وأصابه ومن معه في الطريق عطش، فهلك الكثير منهم، وذلك في سنة (570هـ). ينظر؛ ابن الاثير، الكامل، ج9، ص412 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص358 ؛ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج3، ص652 .

(5) ابن الاثير، الكامل، ج9، ص399 ؛ ابن كثير، البداية و النهاية، ج12، ص358 .

(6) داود بن يونس بن عبد الله الأنصاري البغدادي صاحب الديوان. تولى إشراف الديوان في أيام المستضيء بأمر الله، ثم تولى للخليفة للناصر لدين الله صدرية ديوان الزمام في شهر ربيع الأول سنة (577هـ)، وعزل في صفر سنة (579هـ)، ولم يستعمل بعد ذلك، وكان صدرًا نبيلًا مهيبًا مليح الشيبة متدينا صالحًا فاضلًا محبًا لأهل الخير. مات في سنة (616هـ)، ودفن بمشهد الإمام علي عليه السلام. ترجمه ابن الفوطي مرتين بالرقمين (3563 – 5067)، مع القاب كمال الدين ومظفر الدين، أما صاحب كتاب مضمار الحقائق فيقول: " وكان لقبه مجد الدين، فغير لقبه لأن أستاذ الدار كان يلقب بمجد الدين، ولقب داود بكمال الدين ". ينظر؛ ابن شاهنشاه، مضمار الحقائق، ص116 ؛ ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج4، ص153 – 154 و ج5، ص271 ؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج44، ص289 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج13، ص318 .

(7) هبة الله بن علي بن هبة الله بن محمد المعروف بابن الصاحب. أستاذ دار الخليفة المستضيء بأمر الله، انتهت إليه الرئاسة في زمانه. ولي حجابة الباب في أيام المستنجد، وبلغ رتبة الوزراء، ولما بويع الخليفة الناصر لدين الله قربه وحكمه في الأمور. كان سيء الطريقة يرتكب المعاصي بخيلا خسيس النفس ساقط المروءة مذموم الافعال، ثم إن بعض الناس سعى به، فاستدعي إلى دار الخلافة وقتل بها سنة (583هـ). ينظر؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج27، ص178– 179 .

(8) ابن شاهنشاه، مضمار الحقائق، ص168 – 169 .

(9) أبو الحسن علي بن أحمد أبي عبد الله محمد بن علي الحنفي. كان ساكنًا وقورًا محتشمًا، حدث عن ابن الحصين وطائفة، وولي القضاء بعد موت قاضي القضاة أبي القاسم الزينبي، ثم عزل عند موت الخليفة المقتفي بالله، فبقي معزولًا إلى سنة (570هـ)، ثم ولي إلى أن مات سنة (583هـ). ينظر؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص453 .

شيخ الشيوخ عند الخليفة لأن أستاذ الدار ومن معه اجتمعوا على تنحيته[1]. ولما مات ابن شيخ الشيوخ تقدم الخليفة إلى أستاذ الدار بإنفاذ جميع القراء إلى رباط شيخ الشيوخ لحضور موت ولده وأن يمضوا مع الأمراء والمماليك الخاص، فكان يوماً مشهوداً[2] .

دور الضيافة :

في رمضان من سنة (604هـ) أمر الخليفة العباسي الناصر لدين الله ببناء دور في محلات ببغداد ليفطر فيها فقراء المسلمين سميت بدور الضيافة يطبخ فيها اللحم الضأن والخبر الجيد، وجعل في كل دار من يوثق بأمانته ليتولى مهمة الإشراف عليها، وكان يعطي كل إنسان قدحًا مملوءًا من الطبيخ واللحم ومنا من الخبز، فكان يفطر كل ليلة على طعامه خلق لا يحصون كثرة[3]. وقد أنشأت هذه الدور بجانبي بغداد، وبلغ عددها عشرين دارًا[4]. وجهزت هذه الدور بكل ما تحتاجه من أدوات الطبخ والطباخين، وكانت الخدمة في هذه الدور مجانية لا يتقاضى عليها العاملون أي أجر؛ إنما هي جزء من عمل الخير، وتفتح هذه الدور أبوابها قبل آذان المغرب بفترة استعدادًا لإفطار الفقراء، فيقدم الطعام لكل صائم بحسب ما قرر له .

وأمر المستنصر بالله بزيادة عدد دور الضيافة الرمضانية، إذ أضاف دارين أحداهما بدار الخلافة لإفطار أولاد الخلفاء المقيمين بدار الشجرة[5]، والأخرى بخربة ابن جردة[6] للفقراء الهاشميين[7] .

استمرت دور الضيافة بازدياد، فقد أمر الخليفة المستعصم بالله بفتح أربع دور أخرى هي: دار بالمشهد الكاظمي، لأجل إفطار العلويين المقيمين به، ودارين بالجانبين الغربي والشرقي من بغداد للفقراء من العباسيين، ودار بصحن السلام من دار الخلافة لأجل

---

(10) ابن شاهنشاه، مضمار الحقائق، ص135 .

(1) ابن شاهنشاه، مضمار الحقائق ، ص175 .

(2) ابن الاثير، الكامل، ج10، ص266 ؛ ابن واصل، محمد بن سالم بن نصرالله الحموي (ت: 697هـ)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: حسنين محمد ربيع وسعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1377هـ/ 1957م ، ج4، ص163.

(3) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص159 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص57 .

(4) دارُ الشجرة: دار فسيحة ذات بساتين مونقة تقع في الدار الخليفية المعظمة ببغداد من أبنية الخليفة المقتدر بالله، سميت نسبة لشجرة كانت هناك من الذهب والفضة في وسط بركة كبيرة مدورة أمام إيوانها وبين شجر بستانها، ولها من الذهب والفضة ثمانية عشر غصنًا، لكل غصن منها فروع كثيرة مكللة بأنواع الجواهر على شكل الثمار وعلى أغصانها أنواع الطيور من الذهب والفضة، إذا مر الهواء عليها أبانت عن عجائب من أنواع الصفير والهدير. ينظر؛ ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص421 .

(5) خربة ابن جردة هي محلة في شرقي بغداد تنسب الى أبي نصر بن أبي عبد الله، ذكرها ابن الجوزي في غرق بغداد سنة (466هـ) فقال: " ووقعت آدر بباب المراتب منها دار ابن جردة، وكانت تشتمل على ثلاثين دارا ..... "، وهذا يعني ان هذه المحلة كانت تقع بباب المراتب. وباب المراتب هو أحد أبواب دار الخلافة ببغداد، من أجل أبوابها وأشرفها، كان حاجب الباب عظيم القدر، ونافذ الأمر. ثم صارت بعد حين في طرف البلد بعيد كالمهجور، لم يبق فيه إلا دور قوم من أهل البيوتات القديمة، وكانت الدور فيه غالية الأثمان عزيزة الوجود في أيام السلاطين ببغداد، لأنه كان حرمًا لمن يأوي إليه. ينظر؛ المنتظم، ج16، ص155 ؛ ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص312 .

(6) مجهول، الحوادث، ص69 .

الساكنين بدار الشجرة من أولاد الخلفاء، فأصبح بها داران لإفطار اولاد الخلفاء[1]. ويقدر عدد الذين كانوا يفطرون في هذه الدور بأكثر من عشرة آلاف شخص إذا علمنا إنه كان يقدم في كل دار من الدور في كل يوم خمسمائة قدح من الطعام[2] .

ولأجل استمرار هذه الدور التي كانت بحاجة إلى الأموال، خصصت لها العوائد المالية اللازمة، وجعل لها ديوان خاص يسمى (ديوان الطبق). يقول ابن خلكان في تعريف الطبق: يحضر أهل بغداد سماط الخليفة عند الوزير وهم يسمون السماط طبقا[3].

غير أن الطبق في الاصطلاح له مفهوم أوسع وأشمل خاصة بعد عناية الخلفاء العباسيين بشؤون دور الضيافة بصورة عامة، والضيافة الرمضانية بصورة خاصة، إذ أوقفت عليه الأراضي الزراعية، فعرف الطبق بأنه الضياع الموقوفة على ضيافة الدولة العباسية للفقراء والحجاج وغيرهم، ولا سيما في شهر رمضان[4].

ومما قام به المستنصر بالله العباسي من وسائل لدعم الطبق، وقف الاراضي الزراعية عليه، فبعد إن تحول أراضي مجرى نهر دجلة الشرقي لخربة قام الخليفة المستنصر باستخراج نهرًا لها من دجيل، ووقف تلك الارض على دور الضيافة[5]، وعرف النهر الذي شقه المستنصر بدجيل المستنصرية[6] .

ولأجل راحة الحجاج وتوفير المسكن والطعام لهم أمر الخليفة الناصر سنة (605هـ) بإنشاء دور الضيافة للحجاج بالجانب الغربي من بغداد على نهر دجلة، وأمر إن تزود بكل ما تحتاجه هذه الدور من الاطعمة، وأوصى متولوا الدور ألا يردوا أحدًا من الحجاج عن تناول الطعام فيها[7]، فإذا أراد أحدهم السفر منها زود وكسي وأعطي بعد ذلك ديناراً[8] .

ولم يقتصر بناء دور الضيافة على الخلفاء بل تعداه إلى الأمراء وميسوري الحال، فبنى الأمير أبو الخير بجكم التركي دارًا لضيافة الضعفاء والمساكين بواسط[9] .

السقايات :

أدى اتساع مدينة بغداد بشريًا وعمرانيًا إلى بعد مصادر الماء الخام عن بعض محلاتها، وكان الماء يدخل إلى مدينة بغداد من نهرين أحدهما يتزود بالماء من نهر الفرات ويسمى نهر عيسى[1]، والآخر يأخذ ماءه من دجلة ويدعى الدجيل[2] .

---

(7) الملك الأشرف، إسماعيل بن العباس بن علي بن داود (ت: 804هـ)، العسجد المسبوك، تحقيق: شاكر محمود عبد المنعم، دار البيان، بغداد، 1975م، ص518 .
(1) ابن الساعي، الجامع المختصر، ج9، ص230 ؛ الغساني، العسجد المسبوك، ص322 .
(2) وفيات الأعيان، ج6، ص235 .
(3) ابن الساعي، الجامع المختصر، ج9، ص21 هامش رقم 1 .
(4) ابن عبد الحق، عبد المؤمن بن عبد الحق بن شمائل القطيعي (ت: 739هـ)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، ط1، بيروت، 1412 هـ، ج2، ص953 .
(5) نهر دجيل المستنصري يقع على بعد عشرة فراسخ شمال مدينة بغداد. ينظر؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج2، ص953 .
(6) أبو شامة، عبد الرحمن ين إسماعيل بن إبراهيم المقدسي (ت: 665هـ)، الذيل على الروضتين، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1422هـ/ 2002م ، ص97 ؛ ابن الساعي، الجامع المختصر، ج9، ص258 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص158 .
(7) ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص61 .
(8) سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، ج17، ص181 .

أما الجانب الشرقي لمدينة بغداد، فكان يتزود بالماء من نهرين: الأول نهر موسى، والثاني نهر الخالص، ويسمى بنهر (الفضل)، والفرع الذي يدخل المدينة، ويتفرع فيها يسمى نهر المهدي[3] .

وكانت هذه السواقي تجري في قنوات مبنية بالكلس والآجر، وكل قناة منها تدخل المدينة وتمر في شوارعها وهي مكشوفة من دون انقطاع صيفًا وشتًاء، وقسم من هذه القنوات كان يدخل المدينة في مجار من خشب الساج، فكان شرب أهل بغداد من ماء دجلة والفرات[4] .

وكان هذا هو الاسلوب المتبع في التزود بالماء مع بداية العصور العباسية، بالإضافة إلى استخدام الطرق القديمة من أجل توفير المياه الصالحة للشرب مثل القرب والروايا[5]، غير إن هذا الأسلوب لم يستمر طويلًا، ففي العصور العباسية المتأخرة أخذت الدواليب تقوم بنقل الماء من نهر دجلة مباشرة، وتنقله إلى الأحياء والشوارع بواسطة سواقي مبنية بالكلس والآجر، وصارت هناك محلات معينة لها تعرف بالسقايات[6] .

واتخذت الأخيرة أهمية كبيرة في بغداد، خاصةً إن فقراء الناس كانوا غير قادرين على شراء ماء الروايا، فكانوا يتزودون من هذه السقايات لسد حاجاتهم اليومية. لذا عمد عدد من الخلفاء والأغنياء، وأهل الخير إلى انشاء عدد كبير منها في المواضع العامة من بغداد[7]، ومن هذه السقايات :

1- سقاية جامع القصر :

تكامل بناءها سنة (475هـ) وهي من عمل الوزير فخر الدولة[8]، يقول ابن الجوزي: " عمل فيه سقاية، وأجرى فيها الماء من داره في قني تحت الأرض، وجعل

---

(9) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر (ت: بعد 292هـ)، البلدان، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1422هـ، ص44 .
(10) ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص460 .
(1) اليعقوبي، البلدان، ص44 .
(2) ياقوت، معجم البلدان ج1، ص460 .
(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص652 .
(4) ابن الساعي، نساء الخلفاء، تحقيق: مصطفى جواد، دار المعارف، القاهرة، بلات، ص113 .
(5) الرحيم ، مهدي عبد الحسين ، الخدمات العامة في بغداد (400- 656هـ)، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1987م، ص133 .
(6) فخر الدولة محمد بن محمد بن جهير الثعلبي. أصله من مدينة الموصل، واشتهر عنه الحزم وأصالة الرأي. انتقل إلى حلب، فجعل ناظرًا لديوانها، ثم عزل، فانتقل إلى مدينة آمد، فاتصل بالأمير نصر الدولة أحمد بن مروان (صاحب ميافارقين، وديار بكر) فاستوزره، وما زالت تصعد به همته إلى أن ولي الوزارة ببغداد للقائم العباسي سنة (454هـ)، واستمر فيها إلى أن ولي المقتدي، فأقره مدة سنتين، وعزله، فخرج إلى ديار بكر سنة (476هـ)، واستعان بالسلطان ملكشاه، فأعانه، فافتتح ميافارقين سنة (479هـ)، واستولى على أموال أصحابها (بني مروان)، وملك مدينة آمد، وعظم شأنه فكانت له إمارة تلك الأطراف، ثم ولاه السلطان ملكشاه على ديار ربيعة سنة (482هـ). ينظر؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص127– 134 ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج18، ص608 – 609 ؛ تاريخ الإسلام ، ج33، ص118– 121 ؛ الصفدي، العبر، ج2، ص347 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص111 ؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص355 ؛ الزركلي، الاعلام، ج7، ص22 .

لها فوارات، فانتفع الناس بذلك منفعة عظيمة "[1]، واستمرت هذه السقاية في عملها حتى زيارة ابن جبير للعراق، فقال عنها: " جامع الخليفة متصل بداره، وهو جامع كبير، وفيه سقايات عظيمة، ومرافق كثيرة كاملة، مرافق الوضوء والطهور "[2] .

2- سقاية الخليفة الراضي :

تقع في الجانب الغربي من بغداد في جامع عشائر، وهي منسوبة إلى الخليفة الراضي (322 – 329هـ)، ذكرها ابن الجوزي في حوادث سنة (596هـ)، عند غرق مدينة بغداد، فذكر إنها كانت ملجأ لمرضى البيمارستان العضدي، إذ اضطر مشرفه إلى إرسالهم إلى هذه السقاية، بعد أن طغت مياه الفيضان عليه في هذا الفيضان[3]. كذلك انقطع الشيخ الصالح الزاهد العابد عبد الله الرومي[4] المتوفي سنة (606هـ) في هذه السقاية، وكان يقصد من قبل العامة للتبرك به[5] .

3- سقاية دار الخلافة:

تميزت هذه السقاية عن غيرها من السقايات كونها تأخذ المياه من نهر دجلة بواسطة أربع دواليب كل واحد منها أعلى من الآخر، فيأخذ الأول من دجلة، والثاني من الأول، والثالث من الثاني، والرابع من الثالث، وتقع بجوار دار الخلافة، وتنسب إلى السيدة بنفشة[6] زوجة الخليفة المستضيء[7] .

4- سقاية الإمام أحمد بن حنبل (ت:241هـ) :

هي من بناء الخليفة المستنصر بالله العباسي بناها سنة (634هـ)، وكان سبب بناءها لأجل الزوار والواردين إلى هذه التربة من الزهاد والمتعبدين، فلما تكامل بناؤها فتحت وجعل فيها الحباب وملئت من الجُلاب، ورتب فيها قيم يقوم بمصالحها[8] .

الأربطة الصوفية :

حرص الخلفاء على إنشاء الأربطة في أماكن مختلفة من بغداد، ووقفوها على المتصوفة، فالخليفة الناصر لدين الله أمر بإنشاء مجموعة من الربط منها: رباط الخلاطية[9] بمشرعة الكرخ مجاور مشهد عون ومعين[1]، وأنشأ إلى جانبه تربة

---

(7) المنتظم، ج16، ص224 .
(1) رحلة ابن جبير، ص204 .
(2) المنتظم، ج18، ص205 .
(3) لم أقف له على ترجمة في جميع المصادر التي استطعت الوصول إليها .
(4) ابن الساعي، الجامع المختصر، ج9، ص289 .
(5) بنفشة: جارية المستضيء بالله، وأحب سراريه إليه. وقفت مدرسة بباب الأزج، وعمرت عدة مساجد، وكانت كثيرة الرغبة في أفعال البر، وهي التي أشارت على الخليفة بأن يجعل ابنه الناصر لدين الله ولي عهده. ينظر؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج42، ص342 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج10، ص184 – 185 .
(6) ابن الساعي، نساء الخلفاء، ص113 .
(7) مجهول، الحوادث ، ص121 .
(8) رباط إخلاطية بناه الخليفة الناصر على شاطئ دجلة بمشرعة الكرخ في الجانب الغربي من بغداد. وبجواره بنى تربة لزوجته سلجوقة خاتون بنت قلج أرسلان التي كانت وفاتها سنة (584هـ)، وموقعه اليوم على شاطئ دجلة في المشرعة المعروفة اليوم بشريعة خضر الياس بالجانب الغربي من بغداد. ينظر؛ ابن الأثير، الكامل، ج10، ص64 ؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، 246 – 247 ؛ جواد، الربط الصوفية البغدادية، ص 33.

لزوجته سلجوقي خاتون[2]، ورباط الحريم الطاهري[3]، ورباط المرزبانية[4] الذي قرر الانقطاع فيه وترك الخلافة زهدًا في الدنيا، ثم بدا له غير ذلك[5]. وتقرب الخليفة الناصر من الصوفية، وعمل ثيابًا كزي أهل التصوف كان يلبسها ويتردد بها عليهم في رباط المرزبانية الذي أنشأه لهم، حتى إنه اتخذ له دارًا مجاورًا للرباط[6] .

وانشأ رباط دار الفلك للنساء الصوفيات المنقطعات سنة (586هـ)، وجعل شيختهن فيه السيدة العلوية ست الخدور بنت الأمير السيد علي بن المرتضى بن علي العلوي الحسيني مدرس جامع السلطان بالمخرم ورئيس الحنفية في زمانه، وكان رباط دار الفلك قريبًا من دجلة بينهما دار الأمير علاء الدين الطبرسي[7] مملوك الخليفة[8].

وأنشأ الخليفة المستنصر بالله رباط دار الروم[9] بالجانب الشرقي من بغداد، وجعل له منارة للآذان في أوقات الصلاة، وأجرى فيه من الوظائف والتعهدات ما يعين المقيم فيه، وتم له افتتاحه سنة (626هـ)، وأسكنه جماعة من الصوفية[10]، وجعل مشيخته للشيخ أبي صالح نصر بن أبي بكر عبد الرزاق الجيلي[11] على من فيه من الصوفية،

---

(9) يقول ابن جبير في وصف هذا المشهد: وفي الطريق إلى باب البصرة مشهد حافل البنيان داخله قبر متسع السنام، عليه مكتوب: هذا قبر عون ومعين من أولاد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ﷺ، ينظر، الرحلة ، ص202 .

(1) سلجوقي خاتون بنت قلج أرسلان بن مسعود بن قاروت صاحب بلاد الروم، وزوجة الخليفة الناصر لدين الله التي عقد عليها بوكالة من أخيها كيخسرو سنة (582هـ)، وسار لإحضارها الحافظ يوسف بن أحمد شيخ الرباط الارجواني، فحظيت عنده، وحكمها في داره، وفي الخزائن. توفيت سنة (584هـ) فجأة، فحزن عليها الخليفة حزنًا عظيمًا لم يحزنه رجل على امرأة. كانت كثيرة الصدقات والمعروف. ينظر؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج41، ص13 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص364 ؛ دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج4، ص103 .

(2) رباط الحريم أنشاه الخليفة الناصر لدين الله سنة (589هـ) في محلة الحريم الطاهري، وأسكنه الصوفية وخصص لهم الجرايات من الطعام. ينظر؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص276 ؛ الأربلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص282 ؛ جواد، الربط الصوفية البغدادية، ص47 .

(3) رباط المرزبانية يقع هذا الرباط على نهر عيسى بالجانب الغربي من بغداد. وولي عليه الشيخ عمر السهروردي، وسكنه مع جماعة من الصوفية، وأجري لهم جميع ما يحتاجون اليه. ينظر؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ص513 ؛ ابن الساعي، الجامع المختصر، ج9، ص99 .

(4) الأربلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص282 .

(5) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج45، ص92 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج6، ص174 .

(6) علاء الدين الطبرسي الظاهري مولى الخليفة الظاهر. كان عظيمًا عنده عالي المرتبة لدى الخليفة المستنصر. زوجه بابنة بدر الدين صاحب الموصل، ووهبه ليلة عرسه مائة ألف دينار، وكان دخله في العام من ملكه وإقطاعه خمسمائة ألف دينار، وكان كريمًا حسن السيرة. ولما مات دفن بمشهد الإمام موسى الكاظم ﷺ، ورثته الشعراء. ينظر؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج47، ص443 .

(7) جواد، الربط الصوفية البغدادية، ص50 .

(8) دار الروم: محلة كبيرة للنسطورية خاصة في الجانب الشرقي من بغداد، وسميت بذلك لأن جماعة من الروم وردوا إلى بغداد، فأسكنوا بهذه المحلة. ينظر؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج2، ص561 .

(9) ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص261 .

(10) نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر بن ابي صالح بن جنكي دوست الجيلي، البغدادي الأزجي، الفقيه الحنبلي، قاضي القضاة. ولد في ربيع الآخر سنة (564هـ)، وقرأ الخلاف على أبي محمد بن أبي علي النوقاني الشافعي، ودرس بمدرسة جده. روى الكثير، وكان ثقة متحريًا. بنيت له دكة بجامع القصر للمناظرة وكانت له في المذهب اليد الطولى. جلس للوعظ، وكان له قبول تام، ويحضره خلق كثير. أذن له في الدخول على الأمير أبي نصر محمد ابن الإمام الناصر في كل جمعة لسماع مسند الإمام أحمد منه بإجازته من أبيه الناصر، فحصل له به أنس. فلما استخلف، قلده القضاء في ذي القعدة من سنة (622هـ)، فسار السيرة الحسنة، ولم يحاب أحدًا

وبقي في هذا المنصب إلى أن توفي سنة (633هـ)[1]. وكان لبعض المشايخ الصوفية الحظوة عند الخليفة المستنصر بالله مثل الشيخ عبد العزيز بن دلف بن الخازن المعروف بالناسخ (ت:637هـ) شيخ رباط الحريم الطاهري الذي كان يقضي حوائج الناس عنده، وعند غيره[2] .

وشيد الخليفة المستعصم بالله رباطًا نسويًا سنة (652هـ) بدار الشط[3] وأسكنه النساء المتصوفات، وجعل مشيخته للشريفة العباسية التي يرجع نسبها إلى الخليفة المكتفي[4] . وتولى أبو نصر محمد بن نصر الجيلي القضاء، والحكم بحريم دار الخلافة للخليفة المستعصم، إلى أن توفي سنة (656هـ)، ودفن بجوار جده في مدرسته[5]. وكان لمؤدبه[6] ومؤدب أولاده[7] الشيخ شمس الدين أبي المظفر علي بن النيار الفقيه الصوفي الحظوة عنده، ففوض إليه مشيخة الشيوخ ببغداد، وسلم إليه رُبُطًا، ثم أضيفت له مشيخة رباط المرزباني[8]، وولاه النظر على الطبق بعد أن أضطرب حال عقاره وضياعه وقل حاصله، فارتفع مردوده في ولايته[9] .

ولم يقتصر إنشاء الربط على الخلفاء، بل شاركهم فيها أفراد الأسر العباسية والأمراء فأنشأت أم الخليفة الناصر لدين الله زمرد خاتون[10] رباط المأمونية سنة (579هـ)، ورتب شهاب الدين عمر السهروردي شيخًا به، ووقفت عليه الوقوف النفيسة[11]، ثم تولاه عبد الله[12] بن محمد بن عبد المجيد المصري، ومن بعده ابنه أبو عبدالله محمد[13] وعمره اثنتا عشرة سنة، فأقام به شيخا عشرين سنة ثم عزل[1] .

في دين الله. فلما أفضت الخلافة إلى المستنصر أقره أشهرًا، ثم عزله. وكانت وفاته سنة (633هـ). ينظر؛ ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب ، تحقيق: مصطفى جواد، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1963م، ج4، ص873 – 874 ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص396 – 399 ؛ تاريخ الاسلام، ج46، ص173 – 175 .

(1) ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي (ت: 795هـ)، ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض، 1425هـ/ 2005م، ج3، ص420 .

(2) مجهول، الحوادث، ص163 .

(3) دار الشط: هي دار الأمير علاء الدين الطبرسي المعروف بالدويدار الكبير. تقع بالجانب الشرقي من نهر دجلة، ينظر؛ جواد، الربط الصوفية البغدادية، ص48 .

(4) مجهول، الحوادث، ص317 – 318 ؛ جواد، الربط الصوفية البغدادية، ص48 – 50 .

(5) ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص490 ؛ ابن حجر، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، بلات، ج1، ص295 .

(6) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج46، ص10 .

(7) ابن دقماق، نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، ص251 .

(8) مجهول، الحوادث، ص228 – 229 .

(9) مجهول، الحوادث، ص252 – 253 .

(10) زمرد خاتون التركية أم الخليفة الناصر لدين الله. عاشت في خلافة ابنها أربعًا وعشرين سنة، وحجت ووقفت المدارس والربط والجوامع، ولها أوقاف كثيرة في القربات. ولما ماتت حزن عليها الخليفة، وأمر بتفريق ما خلفته من ذهب وجوهر وثياب، ومشى أمام تابوتها، وحملت إلى تربة معروف الكرخي، وشيعها الأكابر. ينظر؛ ابن الأثير، الكامل، ج10، ص192 ؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج42، ص385 – 386 .

(11) ابن الاثير، الكامل، ج9، ص478 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص277 ؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج40، ص50 .

(12) لم أقف له على ترجمة في جميع المصادر التي استطعت الوصول إليها .

(13) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد المجيد المعروف بالمصري، ولد سنة (580هـ). وكان إمامًا فاضلًا، متفننًا، عارفًا بالفقه، والخلاف، والنحو، صاحب أدب وشعر، ولطف ونوادر، وفيه مروءة وأخلاق. طلب بنفسه،

واتخذ الشيخ عبد القادر الجيلي[2] رباطًا متصلًا بسور بغداد للتزهد والعبادة والوعظ أنشأه من الهدايا الكثيرة التي كانت ترده من الآفاق التي ذاع فيها اسمه (المضيف)، وكان مفتوحًا لتلاميذه، وطلاب العلم[3]، ويسمى الآن – زمن ابن رجب – بيت الخير.

ومن الربط التي أنشأت خارج مدينة بغداد في الفترة التي سبقت الغزو المغولي رباط الأمير إقبال[4] الشرابي الذي أنشأه بمكة لخدمة الحجاج، وقام بتجديده سنة (641هـ)، وأوقف على ذلك أوقافا سنية[5] .

ونظرًا لكثرة الربط، وكثرة المشايخ الذين كانوا يرتبون بأمر الخليفة، ويعزلون بأمر منه أيضًا، فقد استحدث منصب شيخ الشيوخ الذي تناولناه سابقًا .

الجوامع والمساجد :

كان المسجد أحد أهم المنشآت العمرانية في المدينة الإسلامية، وكان للتوصيات التي أوصى بها علماء الأمة الإسلامية القاضية بعدم إقامة أكثر من جامع واحد في الأمصار والمدن الإسلامية أثر كبير في عدم إقامة أكثر من مسجد جامع في المدينة الواحدة، وما خلا ذلك يسمح بإنشاء المساجد التي تقام فيها الصلوات الخمس، ومع تطور المدينة الإسلامية، وتوسع منشآتها، وكثافة سكانها مع مرور الزمن صارت هناك حاجة إلى بناء عدد من المساجد الجامعة، خاصة بعد أن أفتى فقهاء المسلمين بجواز تعدد الخطبة، وصحة صلاة الجمعة عند أدائها مع أربعين مصلي، فبدأت ظاهرة تعدد المساجد الجامعة بالمدينة الإسلامية بالانتشار[6] .

وأكثر عن أصحاب ابن الحصين، وقاضي المارستان. وكان ثقة متقنًا. مات سنة (639هـ). ينظر؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج46، ص410 – 411 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص282 .

(14) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص282 .

(1) عبد القادر بن أبي صالح بن جنكي دوست من أهل جيلان. شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ أحد الأئمة الأعلام. صاحب الكرامات الظاهرة. قدم بغداد في سنة (448هـ)، وله ثماني عشرة سنة، وتوفي بها سنة (561هـ)، ودفن بمدرسته. ينظر؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، ج21، ص127– 128 ؛ ابن الوردي، التاريخ ، ج2، ص68–70 ؛ ابن مفلح ، برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد (ت: 884هـ)، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد، ط1، الرياض، 1410هـ/ 1990م،ج2، ص148– 151 .

(2) ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، ج2، ص190 ؛ الكيلاني، عبد الرزاق، الشيخ عبد القادر الجيلاني، دار القلم، ط1، دمشق، 1994م، ص126 – 127 .

(3) الأمير إقبال الشرابي القائد العسكري المشهور صاحب المدارس الشرابية. تولى مقدمة جيوش العراق سنة (626هـ)، والتقى التتار سنة (643هـ)، فهزمهم، وعلى شأنه وصار من أكبر الأمراء، بنى مدرسة بواسط وإلى جانبها جامعًا، وبنى ببغداد مدرسة في سوق السلطان، وجدد بمكة الرباط الذي اشتهر به، وعين عرفة التي في الموقف، وأجرى ماءها لانتفاع الحاج به، وأوقف على ذلك أوقافا سنية. وكانت وفاته سنة (653هـ)، ودفن في تربة أم الخليفة المستعصم بالله بباب القبة على يمين الداخل. ينظر؛ مجهول، الحوادث، ص324 - 325 ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص370 .

(4) مجهول، الحوادث، ص215 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص51 ؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص450 .

(5) الحصني، أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز الحسيني (ت: 829هـ)، كفاية الأخيار في حل غاية الإختصار، تحقيق: علي عبد الحميد بلطجي، ومحمد وهبي سليمان، دار الخير، ط1، دمشق، 1994م، ص 129.

وفي العصور العباسية الاخيرة وقبل الغزو المغولي لبغداد بفترة كان فيها أحد عشر مسجدًا حسب إحصاء ابن جبير الذي قال: " فجميع جوامع البلد ببغداد المجمع فيها أحد عشر "، منها ثلاثة في الجانب الشرقي وهي الأشهر، والباقي بالجانب الغربي[1] .

1- جامع المنصور :

أشهر مساجد الجانب الغربي ويقع بمحلة باب البصرة بالكرخ، وهو جامع كبير حافل البنيان عتيق أسسه الخليفة المنصور (136–158هـ)[2]، يقع بالجانب الغربي من مدينة بغداد بجوار القصر المعروف بقصر باب الذهب[3][4]. وكانت صلاة الجمعة ببغداد لا تقام إلا في جامع المنصور، وجامع المهدي إلى أن استخلف المعتضد، وأمر بعمارة القصر الحسني[5]، وأمر ببناء مطامير[6] في الدار، وكان الناس يصلون الجمعة في الدار، وليس هناك رسم للمسجد إنما يؤذن للناس في الدخول وقت الصلاة، ويخرجون عند انقضائها، فلما استخلف المكتفي بالله في سنة (289هـ)، ترك القصر، وأمر بهدم المطامير التي كان المعتضد قد بناها، وجعل موضعها مسجد جامع في داره يصلي فيه الناس، فعمل ذلك وصار الناس يبكرون إلى المسجد الجامع في الدار يوم الجمعة، فلا يمنعون من دخوله، ويقيمون فيه إلى آخر النهار، وحصل ذلك رسمًا باقيًا، واستقرت صلاة الجمعة ببغداد في المساجد الثلاثة التي ذكرناها إلى وقت خلافة المتقي[7]، وظل مسجد المنصور قائمًا حتى غرقه سنة (654هـ) بفيضان دجلة تلك السنة، وسقطت بجواره القبة الخضراء من قصر الذهب[8] .

2- جامع الرصافة :

شيده الخليفة المهدي سنة (159هـ)[9]، في الجانب الشرقي من بغداد. زاره ابن جبير ووصفه قائلًا: " هو على الجانب الشرقي المذكور، وبينه وبين جامع السلطان ملك شاه[1] نحو ميل "[2] .

---

(6) رحلة ابن جبير، ص204 .

(1) ابن جبير، الرحلة، ص201 ؛ ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي (ت: 779هـ)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997م، ج2، ص61 .

(2) هو قصر الخليفة ابو جعفر المنصور بناه عند بناء مدينة بغداد سنة (145هـ)، وكان في صدر القصر إيوان طوله ثلاثون ذراعًا، وعرضه عشرون ذراعًا، وفي صدر الإيوان مجلس عشرون ذراعًا في عشرين ذراعًا، وسُمكهُ عشرون ذراعًا؛ وسقفه عبارة عن قبة، وعليه مجلس مثله، وفوقه القبة الخضراء، وعلى رأس القبة تمثال فرس عليه فارس. ينظر؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص93 .

(3) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص93 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص104 .

(4) هي دار الخلافة الواقعة على شاطئ نهر دجلة تحت نهر المعلى كانت قديمًا للحسن بن سهل، فسمي القصر الحسني. فلما توفي صارت لبوران ابنته، فاستنزلها الخليفة المعتضد بالله عنها، فاستنظرته أياما في تفريغها وتسليمها، ثم رممتها وعمرتها وجصصتها، وفرشتها بأجل الفرش وأحسنه، وعلقت الستور على أبوابها، وملأت خزائنها بكل ما يخدم الخلفاء. ورتبت فيها من الخدم والجواري ما تدعو الحاجة إليه، فلما فرغت انتقلت منه وراسلته بالانتقال له، فانتقل المعتضد بالله إلى الدار، فوجد ما استكثره واستحسنه، ثم أضاف للدار ما جاورها وكبرها، وعمل عليها سورًا وحصنها. ينظر؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، ج1، ص115 ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج12، ص335 ؛ ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص4 – 5 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص85 .

(5) المطامير: الحفر تحت الأرض أو البناء، وتستخدم لخزن الحبوب أو كسجون. ينظر، عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج2، ص1414 .

(6) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد و ذيوله، ج1، ص123 ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج12، ص336 .

(7) مجهول، الحوادث، ص346 .

(8) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص123 ؛ مجهول، مناقب، ص21 .

3- جامع السلطان ملك شاه (485هـ) :

أمر السلطان ملك شاه سنة (485هـ) بعمارة الجامع قريبًا من دار المملكة بالمخرم على باب بغداد[3]، يبعد مسافة ميل عن جامع الرصافة، ويقع في سوق المخرم[4] ، تولى السلطان تقديره وذرعه بنفسه، وسوى قبلته جماعة من ارباب الرصد والمهندسين، وندب للإشراف على عمارته قاضي القضاة أبا بكر الشامي[5]، فمات السلطان في نفس السنة، وبطلت عمارة الجامع[6]، ثم تمت سنة (524هـ)[7] على يد الخادم بهروز[8][9] .

4- جامع القصر :

أنشأه الخليفة المكتفي بالله في بداية حكمه (289- 295هـ)، ثم تولاه بالإصلاح والتوسيع الخلفاء من بعده، لاتصاله بدار الخلافة العباسية، ووقوعه في قلب مدينة دار السلام[10]. ووسع ورمم ما كان فيه خرابًا، وعمل له منبر جديد، في شوال من سنة (475هـ)، وأجرى فيه الماء فخر الدولة من داره في قني تحت الأرض، وجعل لها فوارات، فانتفع الناس بذلك منفعة عظيمة[11]. وصفه ابن جبير بقوله: جامع الخليفة متصل بداره، وهو جامع كبير، وفيه سقايات عظيمة، ومرافق الوضوء والطهور[12] .

5- جامع ابن المأمون :

يقع على شاطئ نهر دجلة بجوار قصر عيسى[13]، بناه فخر الدولة الحسن بن هبة الله بن محمد بن علي بن المطلب[1]، وغرم عليه أموالًا عظيمة، وأُذن لإقامة الجمعة

---

(9) أبو الفتح ملك شاه بن أبي شجاع محمد ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق الملقب جلال الدولة. عمر القناطر، وأسقط المكوس والضرائب، وحفر الأنهار، وبنى الجامع الذي يقال له جامع السلطان ببغداد، وبنى مدرسة أبي حنيفة والسوق، وخطب له من أقصى بلاد الترك إلى أقصى بلاد اليمن، مات سنة (485هـ)، وكان عمره سبعًا وثلاثين سنة، ومدة ملكه تسع عشرة سنة وأشهر، ودفن في الشونيزية، ولم يصل عليه أحد. ينظر؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص308 – 313 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص175 - 177 .

(10) الرحلة، ج2، ص65 .

(1) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج19، ص434 .

(2) رحلة ابن جبير، ج2، ص65 .

(3) محمد بن محمد بن المظفر بن بكران الشامي الحموي. ولد سنة (400هـ)، ثم انتقل إلى بغداد بعد سنة (420هـ)، فسمع بها الحديث، وتفقه على أبي الطيب الطبري، وبرع في المذهب، وكان يحفظ تعليقة القاضي أبي الطيب حتى كأنها بين عينيه، تغير عليه المقتدي بالله ومنع الشهود من حضور مجلسه مدة، فكان يقول: ما أنعزل ما لم يتحققوا على الفسق، ثم إن الخليفة خلع عليه واستقام أمره، وذكر ابن النجار أنه كان يسوي بين الشريف والوضيع في الحكم، ويقيم جاه الشرع، فكان هذا سبب انقلاب الأكابر عنه، فألصقوا به ما كان مدبرًا من أحاديث ملفقة، ومعايب مزورة. مات سنة (488هـ). ينظر؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج33، ص276– 280 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص24 ؛ ابن كثير، طبقات الشافعيين، ص485 – 487 .

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص298 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج19، ص434 .

(5) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج20، ص27 .

(6) مجاهد الدين بهروز بن عبد الله الغياثي خادم السلطان مسعود. ولاه السلطان محمد عمارة دار المملكة وملاحظة الأعمال بالعراق، فدامت ولايته أكثر من ثلاثين سنة. فعمر دار السلطان والمسجد، وبنى كنيسة رباطًا للصوفية ببغداد على شاطئ دجلة قريبًا من النظامية يعرف برباط الخدم، وسد البثوق، وأسكر السكور، وغرم على سكر النهروان سبعين ألف دينار. كانت وفاته في سنة (540هـ)، ودفن برباطه المستجد المعروف برباط الخدم. ينظر؛ المنتظم، ج18، ص46 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج20، ص355 – 356 .

(7) ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت: 580هـ)، الانباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 1421هـ/ 2001م، ص314 .

(8) الرحيم، الخدمات العامة، ص134 .

(9) ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص224 .

(10) رحلة ابن جبير، ص204 .

(11) هو القصر منسوب لعيسى بن علي بن عبد الله بن عباس أول قصر بناه الهاشميون في أيام المنصور ببغداد، ويقع على شاطىء نهر الرفيل عند مصبه في دجلة في وسط العمارة من الجانب الغربي، ولم يبق للقصر أثر

فيه يوم الخميس ثامن جمادى الأولى سنة (572هـ)، بعد أن استفتى الخليفة المستضيئ بأمر الله (566هـ / 577هـ) الفقهاء بأداء صلاة الجمعة فيه، فأجازه بعضهم بذلك[2]. وفي يوم الجمعة خامس ذي القعدة من السنة ذاتها أذن في إقامة الجمعة بمسجد آخر في شارع دار الدقيق[3] من الجانب الغربي فأقيمت فيه؛ يعلق ابن الجوزي على ذلك قائلًا: " فمن العجائب تجدد جامعين ببغداد في سنة واحدة "[4]، ثم رجع عن ذلك الخليفة المستضيئ، ومنع إقامة الجمعة فيه سنة (573هـ)[5]، ثم سئل في ذلك الخليفة الناصر فأجاب، فصلى فيه أواخر ذي الحجة من سنة (575هـ)[6]. وللجامع شباك يشرف على دجلة، يقول السبط ابن الجوزي: " قد رأيت هذا الجامع في سنة (645هـ)، وقد استولت دجلة عليه، فأخربت بعضه "[7]. ونتيجة للفيضان الذي تعرض له الجامع سقط الإيوان الذي دفن فيه بانيه[8] .

6- مسجد عمر[9] ابن بهليقا :

أقيم هذا المسجد في العقبة[10] بالجانب الغربي وكان مسجدًا لطيفًا، ثم اشترى ابن الطحان ما حوله ووسعه، وسمت همته حتى استأذن أن يجعله جامعًا، فأذن له، وكانت أول صلاة جمعة تقام فيه في شعبان سنة (538هـ)[11] .

وأقيمت صلاة الجمعة في عدد آخر من الجوامع التي ترد أسماءها في المصادر؛ لكن دون أي تفاصيل عنها مثل :

إنما هناك محلة كبيرة ذات سوق تسمى قصر عيسى، ولعيسى هذا ينسب نهر عيسى الذي ببغداد. ينظر؛ ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص361 .

(12) الحسن بن هبة الله بن محمد بن علي بن المطلب فخر الدولة الوزير. كان فاضلًا سديد الرأي يستشار في الأمور الجسيمة، وكان كثير الصدقات، متفقدًا لأرباب البيوت سخيًا ذا مروءة ظاهرة، وله ببغداد آثار جميلة منها جامعه المعروف بجامع فخر الدولة غربي بغداد وقد غرم عليه أموالًا عظيمة، ومنها رباطه شرقي بغداد عند عقد المصطنع عند دار الذهب، ووقف عليها أوقافًا كثيرة، وكانت وفاته في شوال سنة (578هـ). ينظر؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج21، ص288 ؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج40، ص256 .

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج18، ص288 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص427 .

(2) على ما يبدو ان الكلمة صحفت، وهي دار الرقيق، وشارع دار الرقيق محلة بالجانب الغربي من بغداد على نهر دجلة متصلة بالحريم الطاهري، وفيها سوق كان يباع الرقيق فيه. ينظر؛ ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص420 .

(3) المنتظم، ج18، ص231 .

(4) المنتظم، ج18، ص237 .

(5) ابن الجوزي، مناقب بغداد، تحقيق: محمد بهجت الأثري، مطبعة دار السلام، بغداد، 1342هـ، ص23 .

(6) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص288 .

(7) مجهول، الحوادث، ص286 .

(8) عمر بن علي بن علي بن بهليقا الطحان البغدادي. عمر جامع العقبة بالجانب الغربي من مدينة بغداد، إذ كان مسجدًا لطيفاً، فاشترى ما حوله ووسعه، ثم سمت همته، واستأذن أن يجعله جامعًا، فأذن له في شعبان من سنة (538هـ)، إلا أن أكثر المواضع التي اشتراها كانت تربًا فيها موتى، فأخرجوا وبيعت، وكان المسجد أولًا مما يلي الباب والمنارة. توفي في سنة (560هـ)، ودفن على باب الجامع بعيدًا من حائطه، ثم نبش بعد أيام وأخرج، فدفن ملاصقًا لحائط الجامع ليشتهر ذكره بأنه بنى الجامع، فتعجب من هذا بعض من له فطنة، وقال: هذا رجل سعى في نبش خلق من الموتى، وأخرجهم، وجعل تربتهم مسجدًا، فقضي عليه بأن ينبش بعد دفنه. ينظر؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج18، ص164 – 165 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، ج12، ص310 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج21، ص54.

(9) العقبة تقع في الجانب الجنوبي وراء نهر عيسى قرب مصبه. ينظر؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، ج8، ص179 .

(10) ابن الجوزي، المنتظم، ج18، ص146 ؛ ابن الساعي، الجامع المختصر، ج9، ص 95 .

7- جامع دار القز أنشئ في سنة (530هـ) .
8- جامع العتابيين أذن لصلاة الجمعة فيه الخليفة المستنجد بالله (555/ 566هـ) في شوال سنة (556هـ)[1] .
9- مسجد التوثة أذن لصلاة الجمعة فيه المستضيئ بأمر الله في رمضان سنة (569هـ)[2] .
10- مسجد دار الرقيق أذن فيه لصلاة الجمعة في ذي القعدة سنة (572هـ)[3] .

وإضافة لمساجد الجمعة كانت هناك مساجد الصلوات الخمس، وهي كثيرة جدًا في بغداد ومنتشرة بكل أرجائها وصفها لنا الرحالة ابن جبير قائلًا: " وأما المساجد بالشرقية والغربية فلا يأخذها التقدير فضلًا عن الإحصاء "[4]، وقد وجدنا إشارات كثيرة عنها، وهي من بناء الأثرياء، والعلماء، والأمراء، والأعيان .

المارستانات :

المارستان أو البيمارستان لفظتان أطلقتا على المستشفيات بالمفهوم الحديث، وهي مؤسسات خيرية عامة شيدت من قبل الخلفاء والأمراء والسلاطين، وقد حظيت المارستانات بأوقاف كبيرة أسهمت في سد نفقات واحتياجات نزلائها من الطعام والدواء[5]، فضلًا عن دفع مرتبات العاملين فيها[6]، فنجحت إلى حد ما في الوصول إلى الغاية المرجوة من إنشائها، ولأهمية أوقافها، وارتباطها بمنافع البسطاء والضعفاء من الناس، فقد أنيطت مهمة النظر فيها إلى الثقات من الفقهاء[7]، وهي قليلة مقارنة بأعمال البر الأخرى، فوجدنا ثلاثة منها في بغداد في العصر العباسي الأخير، وواحدة في البصرة، ومثلها في واسط :

1- المارستان العضدي[8] :

ينسب هذا المارستان لعضد الدولة البويهي، وهو يقع بالجانب الغربي من مدينة بغداد[9] بين نهر دجلة، ونهر آخر يأتي من الفرات[1][2]. أنشأ هذا المارستان في

---

(11) ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص23 .
(1) ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص23 .
(2) ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص23 .
(3) الرحلة، ص183 .
(4) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص215 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج19، ص17 ؛ مجهول، الحوادث، ص15 – 16 .
(5) مجهول، الحوادث، ص85 .
(6) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج15، ص261 ؛ ابن الاثير، الكامل، ج10، ص283 ؛ ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج2، ص405 ؛ الذهبي، المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ الدبيثي، تحقيق: دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ، ج1، ص265 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص75 .
(7) عضد الدولة البويهي أبو شجاع فنَّاخُسرو بن الحسن الملقب ركن الدولة بن بويه الديلمي. ولد بأصبهان سنة (324هـ)، وهو أحد المتغلبين على الملك في عهد الدولة العباسية بالعراق. تولى ملك فارس ثم ملك الموصل وبلاد الجزيرة. وهو أول من خطب له على المنابر بعد الخليفة، وأول من لقب في الإسلام بشاهنشاه. عمر ببغداد الكثير من المباني، وبنى سورًا حول مدينة الرسول ﷺ. توفي ببغداد سنة (372هـ)، وله ثمان وأربعون سنة بعلة الصرع، ودفن في النجف الأشرف. ينظر؛ الذهبي، العبر، ج2، ص139 ؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج16، ص249– 252 ؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج4، ص50– 55 ؛ الزركلي، الاعلام، ج5، ص156 .
(8) الأربلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص260 .

خلافة الطائع لله (363-381هـ) سنة (371هـ)[3]، وغرم عليه عضد الدولة مالًا عظيمًا، قيل عنه: وليس في الدنيا مثل تزيينه[4]، ونقل إليه كل ما يحتاج إليه المرضى من الأدوية[5]، وهو يتكون من مجموعة من البنايات الواسعة، يأوي إليها المعوزون من المرضى رغبة في الشفاء[6]. ولهذا المارستان قوامون من الأطباء يتفاوت عددهم بين حين والآخر[7]، يعالجون المرضى ويطبخون لهم الأدوية[8]. وفيه المستخدمين والفراشين، ونساء طباخات، وبوابون، وحراس[9]، يجهزهم الخليفة بما يحتاجون إليه من بيت المال، وفيه بناية تسمى دار المارستان يلجئ إليها المجانين، والأطباء يقيدونهم بالأغلال حتى يعودوا إلى سابق رشدهم، وواجب أطباء الخليفة تفقدهم مرة في كل شهر، فيسرحون من عاد لصوابه منهم ليعود إلى أهله، وتشمل رعاية هذا المارستان كل من دخل بغداد من المرضى والمجاذيب[10]. يصفه ابن خلكان قائلًا: " وليس في الدنيا مثل ترتيبه .... وأعد له من الآلات ما يقصر الشرح عن وصفه "[11]. وهو من المؤسسات التي استمرت في عملها بعد سقوط بغداد إلى نهاية العصر الايلخاني .

2- المارستان التتشي[12] :

موقع هذا المارستان أسفل البلد[13] بباب الأزج في مدينة بغداد، ويسمى التتشي نسبة إلى منشأه خادم تتش ابن ألب أرسلان، ويذكر ياقوت في وصفه: " جاء على أحسن نظام، وعليه الوكلاء يجبون أمواله، ويصرفونها في وجوهه "[14]، وكان ممن خدم المرضى فيه أبوي أبي بكر عبيد الله[15] بن علي المعروف بابن المارستانية[1].

---

(9) يبدو ان النهر المذكور هو ونهر عيسى بن علي، أو أحد فروعه؛ فالخطيب البغدادي يصف لنا أنهار بغداد الجارية قائلا: " أما الأنهار التي كانت تجري بمدينة المنصور والكرخ من الجانب الغربي وتخترق بين المحال والدور، فأكثرها كان يأخذ من نهر عيسى ". والراجح هو النهر الرئيسي لان التطيلي جاء من الاندلس وهو بلد غني بالأنهار ويستطيع التفريق بين النهر والساقية؛ كذلك فهو عند وصفه يقرنه مع نهر دجلة، وهذا يعني أن النهر كان نهرًا كبيرًا وليس بساقية. ينظر؛ تاريخ بغداد، ج1، ص125 .

(10) التطيلي، الرحلة، ص297 .

(1) ابن الاثير، الكامل، ج7، ص386 ؛ ابن العبري، غريغوريوس بن أهرون بن توما الملطي (ت:685هـ) ، تاريخ مختصر الدول ، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، ط3، بيروت ، 1992م ، ص172 .

(2) اليافعي ، مرآة الجنان ، ج2، ص299 .

(3) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص386 ؛ الذهبي، العبر، ج2، ص138 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، ج11، ص340.

(4) التطيلي، الرحلة، ص298 .

(5) في زمن عميد الملك أبو نصر الكُنْدري كانوا (28) طبيبًا، وعندما زار التطيلي بغداد قبل سنة (569هـ)، كانوا (60) طبيبًا. ينظر؛ رحلة بنيامين، ص298 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج19، ص17 .

(6) التطيلي، الرحلة، ص298 .

(7) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج19، ص16 .

(8) التطيلي، الرحلة، ص298 .

(9) وفيات الأعيان، ج4، ص54 – 55 .

(10) التُتُشي: نسبة إلى خمارتكين التتشي (ت:508هـ)، مولى الملك تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان بن داود بن سلجوق، واسم هذا الرجل ينسب إليه مواضع ببغداد منها: سوق قرب المدرسة النظامية يقال له العقار التتشي، ومدرسة بالقرب منه لأصحاب أبي حنيفة يقال لها التتشية، وبيمارستان بباب الأزج يقال له التتشي. ويقال ان ثمن خمارتكين أول شرائه كان حمل ملح، ثم عظم قدره عند السلطان محمد بن ملك شاه ونفذ أمره وكثرت أمواله، وبنى خارج بغداد بين الري وسمنان رباطًا عظيمًا لنفع الحاج والسابلة وغيرهم، وأمضى السلطان محمد ذلك كله. ينظر؛ ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص15 ؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج1، 253 .

(11) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، ج17، ص66 .

(12) ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص15 ؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج1، 253 .

(13) عبيد الله بن أبي الفرج علي بن نصر بن حمزة. كان فاضلًا في صناعة الطب وأعمالها وتولى النظر في البيمارستان العضدي، ثم قبض عليه وحبس به سنتين، ثم أفرج عنه. عمل تاريخًا لبغداد سماه (ديوان الإسلام

3- إيوان[2] الطب بالمدرسة المستنصرية :

أنشأه الخليفة المستنصر بالله بالمدرسة المستنصرية[3] سنة (633هـ)[4]، وموقع المدرسة على شاطئ دجلة من الجانب الشرقي مما يلي دار الخلافة[5] ، وفي كتاب الحوادث الجامعة يقع مقابل المدرسة المستنصرية، وعمل تحته صُفة يجلس فيها الطبيب، وعنده الطلبة الذين يشتغلون عليه بعلم الطب، ويقصده المرضى، فيداويهم، وفي صدر هذا الإيوان العالي الفسيح ساعات يستضاء بها تعمل في جميع الأوقات يستدل بها أوقات الصلاة[6]. وشرط أن يرتب بها طبيب حاذق مسلم، وعشرة أنفس من المسلمين يشتغلون بعلم الطب، وشرط لهم الجراية، والمشاهرة، إسوة بالمشتغلين بعلم الحديث، يعالجون من يعرض له مرض من أرباب هذا الوقف، كما شرط أن يوفر كل ما يحتاج اليه المرضى من الأدوية والأطعمة مجانًا[7] .

4- مارستان باب المحول[8] :

لم ندرك زمن إنشاءه؛ لكنه كان موجودًا قبل سنة (328هـ)، فقد زاره العلامة أبو بكر بن الأنباري[9]، وحصلت له فيه حكاية مع أحد نزلائه[10]، كذلك ورد ذكره في أحداث سنة (449هـ)، عندما نظر أبو نصر عميد الملك[11] الكُنْدري[1] في أمر

الأعظم) كتب منه كثيرًا ولم يتمه. ندب من الديوان في صفر سنة (599هـ)، للرسالة إلى تفليس، فأدى الرسالة وعاد إلى بغداد، فتوفي قبل وصوله بموضع يعرف بجرخ بند في ليلة ذي الحجة من سنة (599هـ)، ودفن هناك. ينظر؛ ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي (ت: 668هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، بلات، ص407 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج42، ص394 – 395 .

(14) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، ج17، ص66 ؛ الزركلي، الاعلام، ج4، ص195 .

(1) الإيوان: بالكسر ضرب من الأبنية العظيمة شبه أزج غير مستور الوجه؛ والأزج: بيت يبنى طولًا. والإيوان تبنى منه ثلاثة أضلاع ويترك أحد الضلعين الطوليين ليكون هو الواجهة، ويكون واسعًا ومعدًا ليستوعب في جوفه اعداد كبيرة، والمعنى المحوري اتساع الحيز لما يوضع فيه وامتلاؤه به امتلاءً تامًا. ينظر؛ جبل، محمد حسن حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب، ط، القاهرة، 2010م، ج4، ص2142 .

(2) مجهول، الحوادث، ص80 ؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص260 .

(3) مجهول، الحوادث، ص111 .

(4) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص168 .

(5) مجهول، الحوادث، ص111 – 112 ؛ الأربلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص286 – 287 .

(6) مجهول، الحوادث، ص85 ؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص260 .

(7) محلة كبيرة في مدينة بغداد كانت متصلة بالكرخ، ثم انفردت كالقرية، وهي ذات جامع وسوق مستغنية بنفسها في غربي الكرخ، مشرفة على السراة. ينظر؛ ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص312 .

(8) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ابن الأنباري. كان أعلم الناس بالنحو والأدب. كان متواضعًا، صدوقًا، ثقةً، دينًا، اتفق الجميع على صدقه وثقته وفضله. صنف كتبًا كثيرة في علوم القرآن، وغريب الحديث، والمشكل، والوقف، والابتداء، والرد على من خالف مصحف العامة. توفي سنة (328هـ) ببغداد. ينظر؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج3، ص399– 403 ؛ الذهبي، سير الأعلام ، ج11، ص489 – 490.

(9) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج3، ص403 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج17، ص172– 173.

(10) محمد بن منصور بن محمد عميد المُلك. ولد سنة (415هـ). كان متفننًا في لغات الترك والعجم، وله فصول بالعربية والفارسية. دخل في خدمة طغرلبك الذي ولاه خوارزم، وعظم جاهه، وعصى بخوارزم، ثم ظفر به السلطان ونقم عليه وقطع مذاكيره، لأن طغرلبك أرسله ليخطب له ابنة سلطان خوارزم، فخطبها لنفسه، ثم رق له فداواه وعوفي، واستوزره وله إحدى وثلاثون سنة. قدم بغداد، وأقام بها مدة، ولقّبه الخليفة سيد الوزراء. ونال من الجاه والحرمة ما لم ينله أحد. فلما مات طُغرلبك وتسلطن ابن أخيه ألب أرسلان أقره على وزارته شهرين، ثُم عزله، واستوزر نظام الملك. قتل صبرًا سنة (456هـ)، وله نيف وأربعون سنة. ينظر؛ ابن

المارستانين – العضدي، وباب المحول – فعمرهما وفرشهما، وجمع فيهما من الأشربة والأدوية والعقاقير التي يعز وجودها. يقول السبط ابن الجوزي: " ذكر ابن الصابئ[2] أشياء ما توجد في دور الخلفاء والملوك "[3]. وهذا المارستان كان موجودًا حتى أواخر حكم العباسيين، ثم اندثر قبل مجيئ المغول ودخولهم إلى بغداد، يقول السبط ابن الجوزي: " وقد دُثِر، فلا عين ولا أثر، أما المارستان العضدي فقائم؛ ولكن على هذا الوجه فلا "[4]، إنما أوردناه هنا لأن اندثاره وزواله كان قبيل دخول المغول لبغداد، ولنخلي مسؤولية المغول عن مسألة زواله واندثاره .

مارستانات النواحي :

1- المارستان البصري :

تقدم الخليفة المستنصر بالله للأمير شمس الدين أبو المظفر باتكين[5] بن عبدالله الرومي الناصري زعيم البصرة بإعمار مارستان البصرة، وأن تكون الغرامة عليه من خالص مال الخليفة، وأن يوقف عليه وقوفًا سنية موفورة الحاصل[6]. وأنشأ فيه مدرسة يقرأ فيها علم الطب[7] .

2- المارستان الواسطي :

استطعنا الحصول على إشارة نستدل بها على وجود هذا المارستان أواخر العصر العباسي؛ لكنها لم تسعفنا في الحصول على معلومات دقيقة عن بانيه وسنة بناءه وأوقافه؛ وكل ما حصلنا عليه هو أدراك الأجل لأثنين من مشاهير العلم والإدارة فيه، وهما: الأكمل المعروف بابن الغسال[8] سنة (ت:596هـ)، وكان قد ولي النظر بديوان الزمام سنة (590هـ)، ونقابه الهاشميين سنة (592هـ)، ونظر أعمال العراق في نفس

الجوزي، المنتظم، ج16، ص92 – 93 ؛ ابن الفوطي، مجمع الآداب، ج2، ص258 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج10، ص85 .

(11) كُندُر قرية من قرى طريثيث بنواحي نيسابور. ينظر؛ ابن ناصر الدين، محمد بن عبد الله بن محمد الدمشقي (ت: 842هـ)، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1993م، ج7، ص399 .

(1) محمد بن هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال البغدادي الملقب بغرس النعمة (ت: 480هـ) من بيت الكتابة والبلاغة والتاريخ. جمع ذيلًا على تاريخ أبيه، وله أيضًا كتاب الربيع، وكتاب الهفوات. كان عاقلًا، لبيبًا، رئيسًا مبجلًا. ينظر؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج32، ص298 – 300 .

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج19، ص16 – 17 .

(3) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج19، ص17 .

(4) باتكين بن عبدالله (560 -640هـ). كان مملوكًا لعائشة بنت الخليفة المستنجد، وخدم في الجيش، وأقام بتكريت مدة، وسلمت إليه البصرة بحربها وخراجها، فعمرها، وبنى لها سورًا محكمًا، وأنشأ مدرسة للحنابلة ومدرسة لعلم الطب، ووقف في جميع المدارس كتبًا، ولما ملك الخليفة المستنصر بالله أربل سنة (630هـ)، نقله من البصرة إليها واليًا عليها، فأزال المكوس وأصلح السور وحفر خندقًا. ينظر؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج46، ص431 ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج10، ص41 ؛ الزركلي، الأعلام، ج2، ص39 - 40 .

(5) مجهول، الحوادث ، ص54 – 55 .

(6) مجهول، الحوادث ، ص209 .

(7) الأكمل عبيد الله بن ملد بن المبارك بن الحسين الهاشمي المعروف بابن الغسال. ولي النظر بديوان الزمام في رجب سنة (590هـ)، وقلده الإمام الناصر لدين الله نقابة الهاشميين في سنة (592هـ)، وعزله في سنة (596هـ). ثم رد إليه النظر في أعمال العراق، فانحدر إلى هناك فأقام مدة ثم عزل، فلزم المقام بواسط إلى أن مات سنة (596هـ). ينظر؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، ج17، ص106 .

السنة بعد عزله من النقابة[1]، وأبو المظفر علي[2] بن نوبغا سنة (ت:611هـ)، وكان أحد الشهود العدول بمدينة واسط[3]، ونستدل من وفاة الأخير أن مارستان واسط كان قائمًا بواجباته تجاه المرضى لغاية سنة (611هـ) .

ومن أعمال البر والخير الأخرى بناء القناطر التي كانت منتشرة بشكل كبير في بغداد ونواحيها، وذلك لكثرة الأنهار والقنوات المتفرعة، يقول ابن جبير: " فلا تكاد تمشي ميلًا إلا وتجد قنطرة على نهر متفرع من الفرات "[4]، وكانت السيدة بنفشة قد عمرت جسرًا على نهر عيسى[5]، ثم عمرت في خلافة المستضئ (566–575هـ)، جسرًا جديدًا سنة (570هـ)[6]، أمرت بعمله تحت الرقة[7] مكان الجسر العتيق، وكتبت اسمها على حديدة في سلسلة، وعلقت فيه، وحمل الجسر العتيق إلى نهر عيسى، فوجد الناس راحة عظيمة بوجود جسرين[8] .

أما الأوقاف خارج العراق، فكان للديار المقدسة بمكة المكرمة نصيب منها لأهلها، ولحجاج بيت الله الحرام، فقد أصلحت ام الخليفة الناصر لدين الله زمرد خاتون البرك والابار لخدمة حجاج وزوار بيت الله[9]، وقام الأمير شرف الدين إقبال الشرابي سنة (641هـ) ببناء عين عرفة التي بالموقف، وأجرى ماءها لانتفاع الحجاج، وأوقف على ذلك الأوقاف[10] .

لقد بلغت الأوقاف نهاية العصر العباسي الأخير ذروتها في دار الملك ببغداد خاصة زمن الخليفة المستنصر بالله، وكان السبب وراء ذلك ما يورده لنا نقلًا الغياثي (ت:883هـ) في كتابه التاريخ بعد اكتشاف أحد الكنوز الناصرية في زمانه: " كان كغيره المولع بجمع الذهب وحبه؛ لكن جميع ما دفنه استخرجه ولده المستنصر، وله قصة طويلة، وأخرجه على العمارات وأبواب البر "[11]، وإن حب المستنصر بالله

---

(8) ابن النجار، محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله البغدادي (ت: 643هـ)، ذيل تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1417هـ - 1997م، ج2، ص106 .

(9) علي بن علي بن المبارك بن الحسين. كان أحد الكتاب العدول بمدينة واسط سمع من جده أبي السعادات ابن نوبغا. قدم بغداد في صباه مع ابيه، وسمع بها من القاضي أبي الفضل محمد بن عمر الأرموي، وابي الفضل محمد بن ناصر الحافظ. وعاد إلى بلده، وحدث به. ولد سنة (511هـ)، وتوفي في سنة (611هـ)، بمارستان واسط. ينظر؛ ابن الدبيثي، أبو عبد الله محمد بن سعيد (ت: 637هـ)، ذيل تاريخ مدنية السلام، ج4، ص475 .

(1) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ مدينة السلام، ج4، ص475 .

(2) الرحلة، ص191 .

(3) ابن الساعي، نساء الخلفاء، ص112 .

(4) الأربلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص279 .

(5) الرقة: كل أرض تكون على الشط تسمى الرقة، ولهذا قيل لبستان الخليفة مقابل دار الخلافة في الغرب على شط نهر دجلة الرقة. ينظر، السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت: 562هـ)، الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط1، حيدر آباد، 1382هـ/1962م ، ج6، ص156 .

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج18، ص211 ؛ ابن الساعي، نساء الخلفاء، ص113 .

(7) ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص44 ؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان، ج22، ص128 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص182 .

(8) مجهول، الحوادث، ص325 ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص370 ؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص450 .

(9) الغياثي، عبدالله بن فتح الله البغدادي (ت بعد: 883هـ)، التاريخ الغياثي، تحقيق: طارق نافع الحمداني، مطبعة أسعد، بغداد، 1975م، ص318 – 319 .

الكبير للعمارة والبناء جعله يأتي بفنون من العمارة أبهرت أبصار وأذهلت عقول كل من دخل بغداد من العلماء والتجار والرحالة إذما رأوها؛ ساعده في ذلك الأموال الطائلة التي تركها له والده الخليفة الناصر، وربما تكون هي السبب المباشر في أطماع المغول لغزو بغداد والاستيلاء على كنوزها ومقدراتها إذا ما طرقت مسامعهم مثل هذه الأخبار .